الحزن يرحل سعيدا

اهداء

إلى كل من يقرأ هذه الرواية :

كما منحتموني بعض وقتكم لقراءة أول عمل روائي لي ،

أهديكم هذا العمل ذاته ، فهو لكم خالصا مني وأهديكم معه

الأمل الذي ستجدونه بين طياته

سماح حافظ

(سلمى فاضل)

الفصل الأول

تبدأ الحياة في لحظة وتنتهي في لحظة وما بينهما هو طريق ممتد طويل من الحيرة والخوف ، وكثير جدا من الغضب .

صرخ الهاتف معلنا عن مكالمة مجهولة لم تكن تتوقع أن يتصل بها أحد في تلك الساعة ، بل في الحقيقة هي لا تتوقع أن يتصل بها أحد على الإطلاق ، يقبع الهاتف كجثة هامدة منذ

فترة طويلة ، منذ أن زحفت نحو الهامش وجعلت الآخرين يملؤون صفحات الحياة بعبثهم .

لم يتوقف الهاتف عن ضجيجه وبيد متثاقلة تلقفت هذا المزعج وقالت بصوت حانق :

_ من ؟

لا تحب هي كلمة " ألو " أو تلك الكلمات الافتتاحية الساذجة ، كما أن من يتصل عليه أن يقدم نفسه فورا و يوفر علينا عناء السؤال وتلك الكلمات الفارغة

_ أهلا .. أنا صالح ، وأنتِ ؟

_ ماذا يعني صالح ؟ هل هو نوع من المنظفات الجديدة أم ماركة عالمية للهواتف ؟!! ما صالح ومن تكون ؟

_ لما هذه الحدة ؟ إسمي صالح ، أجلس وحيدا وأريد أن أتكلم مع أي شخص ، فطلبت رقماً عشوائيا فظهرتِ أنتِ . هذا هو كل الموضوع .

تسربت من بين شفتيها ابتسامة مريرة. ها هو ساذج آخر وتافه آخر وقرد آخر يتسلق جدران عالمها المرتجف ليسرق بقايا سلامها .

تباً له ولكل تلك القرود القافزة حولها منذ مولدها وحتى يومها هذا الذي اختارته ليكن يوم وداعها لكل تلك المهازل التي تعيش فيها .

_ أيها القرد ابحث لك عن شجرة أخرى لتقفز عليها.

أغلقت الهاتف بعصبية وألقت به في ضيق واغمضت عينيها في ألم ، لماذا يحدث لها كل تلك الأمور السيئة تباعا؟ لماذا عليها وحدها أن تزيل الغبار والقذارة عن مرآتها فلا ترى سوى بقعة مظلمة واشباحاً مخيفة .

يعود صوت الهاتف يخترق عقلها ويثير فيها حنقا ورغبة شديدة في تحطيمه ، ولكن أولا لابد أن تلقن هذا المتطفل درساَ لا ينساه .

_ أنت يا ...

_ انتظري لا أسمح لكِ بإهانتي ، نعم أخطأت باتصالي ولكنني لم أسيء إليكِ لتتفوهي بأي إساءة لي .

أليس إزعاجك لي في تلك الساعة يعتبر إساءة ؟

لا أراها كذلك ، ما الذي تخشينه ؟

أنا هنا على بعدُ مسافة منكِ لا أعرفها ، ولا يصل بيننا سوى شبكة لاسلكية ممتدة وتصل بين ملايين البشر وليس أنا وأنتِ فقط .

وحيدا أنا هنا وأظنك أيضا وحيدة ، ما المانع إن تكلمنا قليلا ثم أغلقنا الهاتف فينتهي كل شيء !

زفرت من أنفها ثم قالت بتهكم :

_ وما الذي يجعلني أتحدث مع مختل يجلس في مكان غامض وبالتأكيد سيتحدث في أشياء لا تهمني ، أو يشكي لي وحدته وربما يحاول التحرش بي .

أغضبه أسلوبها وتهكمها هو ليس ذلك التافه أو المختل الذي تظنه ، ولكنه لا يستطيع أن يلومها هو فعلا يبدو كمختل أو متحرش . ما أحمقه إذ يظن أن الحديث مع الغرباء سيخفف ما به أو حتى يمنحه بعض الهدوء من الضجيج الذي يتآكله .

_ أعتذر لأني أزعجتك ، كنت أحمقا حقا في طلبي فكيف لامرأة أن تفهم أي شيء أو تقيم الأمور بشكل سليم ! . سلام

أغضبها ما قاله بشدة فصرخت بعنف قبل أن يغلق :

_ أنت بالفعل أحمق ومختل ، كذكر الطاووس ممتلئ بغرور أبله ، تقتحم عالمي وآخر لحظاتي في الحياة لتعطيني درسا غبيا في أهمية الاستماع لزاحف مثلك وأنني إمرأة لا تفهم ولا تقيم

الأمور لأنها ليست بمثل عبقرتك الفذة ، وهل أنت لديك أي عقل اساسا لتتحدث ؟

ما أنت إلا متطفل مزعج لا قيمة لك ولا أهمية ، تسعى لصوت إمرأة لا تعرفها كطفل ساذج يمد يديه لأي شيء ليأكله ..

وأخذت ترغي وتزبد وهو يستمع إليها بغضب تارة وخجل تارة ودهشة تارة أخرى . ولكن ما ضرب رأسه بقوة هو قولها أن هذه هي آخر لحظاتها في الحياة !

" تُرى ماذا تقصد بهذا !! "

انتهت هي من خطبتها الطويلة وأنهت كل ذخيرتها وقذائفها الصاروخية في أذنه و تهدج صوتها من شدة الغضب والانفعال وأخذت تتنفس بقوة وكان من المنطقي أن تغلق الهاتف ، ولكنها لم تفعل ، انتظرت لتسمع رد فعله وهي لا تدري لماذا تنتظر ! ربما لأن صمته وإنصاته لكل إهانتها له دون أن يقاطعها أثارا فضولها ، أو ربما استمتعت حقا بإطلاق

كل هذا الغضب الكامن داخلها في رجل ما أي ما يكون هذا الرجل ، يكفي ذكوريته ليصبح عدوا متوقعا وهدفا مستحبا لرصاصاتها .

_ ماذا تقصدين بأنها آخر لحظات لك في الحياة ؟!

هكذا ببساطة وهدوء يسأل هذا المعتوه عن جملة عارضة لا يخصه منها حرف ويتجاهل سيل عرم من التحقير والسباب مُهدى له كله بكرم لا حدود له !!

_ أجبينني من فضلك .

بماذا تجيبه ! ومن هو لتشاركه هذا !!

_ أنت فعلا مختل . لما لم تثور أو تغضب أو حتى تسبني وتغلق الهاتف في وجهي ؟ هل أنت من هؤلاء المرضى الذين يعشقون الإذلال ؟ تباً لك اتركني في حالي واذهب لتمارس مرضك وجنونك مع غيري .

_ انتظري أرجوكِ

لست كما تتخيلينني، لست سوى رجل مهجور هجرته زوجته ، قالت أنني ممل تمثال لا يشعر هربت منه الحياة ربما هي على حق ، أغرقت نفسي في مياه ضحلة وأقنعت نفسي أنها محيط كبير وأنني أسبح فيه بمهارة ظننت أنني أصنع مجدا وفي الحقيقة لم أكن سوى ترس في عجلة كبيرة تدور وتدور ولا تتوقف ، عمل وعمل ثم عمل ، كنت أريدها أن تفخر بي ، أن أكون أبا عظيما في عين أبنائي و طبيبا ماهرا في عين مرضاي ورؤسائي ، ونسيت أنني لست آله ، ولست ترسا . بل إنسان له حق الحياة والتلذذ بمتعها ، ظنت زوجتي أنني أحب عملي أكثر ، وفي الحقيقة كنت أحب نجاحي في عملي لأكون جديرا بها .

تركتني اليوم وهي تزفر في وجهي كل عجزي عن إسعادها، أوقفت آلتي عن العمل وعقلي عن التفكير ، كيف كنت بهذا

الغباء! كيف لم أر تلك الهوة التي أخذت في الاتساع بيننا وتلك الجفوة التي بدأت تعاملني بها ، هل عميت عيناي وفقد قلبي بصيرته ؟

_ ربما لأنك كنت تفكر وحدك وتضع الافتراضات لها .

أعماك غرورك وثقتك في ذكائك وعقلك عن شيء هام جدا وهو أن تسألها هي ما الذي يسعدها . كلكم أغبياء تظنون أن الله منحكم عقلا مركزيا يفكر لكم ولزوجاتكم ولا حاجة للنساء بأن تفكر أو ترغب أو تشعر بشيء مخالف لما تتوقعونه أنتم و تخططون له .

فوجئ بصوتها ، نسي في خضم أفكاره أنها على الهاتف وأنه باح لها بعذابه وحيرته وبؤسه . كيف فتح بوابة السد وسمح لطوفان قلبه بالسيل دون تفكير أو هوادة !!

_ لست مغرورا

ردت بتهكم :

_ إذاَ أنت غبي .

اشتعل في قلبه الغضب ..

_ كفى .. كفى إهانات .

من أنتِ لتخاطبيني بهذه الطريقة ؟!

_ أنا من زحفت إليها جلالتك لتبوح لها بضعفك وخيبتك .

صدقت هي في كل كلمة ، هو الزاحف المخذول .

لها الحق في أن تسيء إليه كما تشاء ، فهو الذي أساء لنفسه وقام بهذا الفعل الأهوج .

ماذا كان يظن حقا وهو يتصل بتلك الطريقة الصبيانية برقم عشوائي ليخاطب إمرأة لا يعرفها !

_ لماذا لم تذهب مع أصدقائك لتعربد و تلتقي بامرأة تقضي معها ليلتك السوداء هذه لتكن طريقتك في الانتقام من زوجتك التي هجرتك كما يفعل الرجال في الأفلام السينمائية وفي الواقع الحقير .

قال بهدوء لم تتوقعه :

_ ليس لي أصدقاء ، لم يكن لديَ وقت لأي حياة اجتماعية .

أنا وحيد تماما

اندهشت من هدوءه ، وكلماته، ووحدته يدهشها هذا الرجل حقا

يتحكم في أعصابه سريعا ، كالموج يعلو ويهبط ، مزيج عجيب من كل شيء .

تنهدت ثم قالت بهدوء مماثل :

_ وأنا مثلك وحيدة تماما ، الوحدة أصبحت إمبراطورية عظمى رعاياها كثيرون ، عزاؤك أنك لست وحدك في وحدتك .

وضحكت وهي لا تدري هل ضحكت قهرا أم سخرية أم لمحاولة التخفيف من هذا الجو المشحون .

لا تملك أي قدرة الآن على التفكير السليم ، هي وأفكارها على أرجوحة مجنونة لا تتوقف ابدا ولا تترك لها فرصة لالتقاط أنفاسها واستعادة توازنها ، ابتسم هو لضحكتها صوتها جميل برغم كل تلك المرارة التي تخرج ممتزجة بشكل عجيب مع ذبذبات ضحكتها وصوت أنفاسها .

ودار في ذهنه سؤال :

ما الذي يجعل صاحبة تلك الضحكة الصافية محملة بكل هذا الغضب والحزن ؟! كجواد سباق جريح يرى خط النهاية ولا يستطيع الوصول إليه ، والجميع يعبرون حوله ويخطون على دمائه وألف صرخة ألم يطلقها ولا أحد يسمعه ....

الفصل الثاني

نبدأ في البوح عندما يبدأ الآخرون في الإنصات باهتمام ، هذا هو كل ما نريده ، أن نجد من يهتم و يُنصت..

_ ألن تجيبي على سؤالي ؟

_ أي سؤال ؟

_ كيف أن هذه لحظاتك الأخيرة في الحياة ؟

_ تمتليء فضولا وتطفلا ولا تتوقف عن الزحف صدقت زوجتك حين قالت عنك مملا .

أوجعته الكلمة ولكن فضوله كان أقوى ثم أنها غريبة عنه بضغطة زر يمكن إخراجها من حياته للأبد وبلا أثر .

_ هل أنتِ وحدك في البيت ؟

سأل بهدوء .

_ نعم ، هل تريد أن تزحف عبر الهاتف إلى هنا ؟

أجابت بسخرية .

وهو بدوره تجاهل سخريتها وسألها :

_لماذا أنتِ بمفردك ؟

_ ولماذا أنت فضولي ؟ افتح التلفاز وشاهد مسلسلا تركيا أفضل

أقترح عليك مسلسل الرجل السحلية

رفع حاجبيه بدهشة :

_ هل يوجد مسلسل بهذا الاسم فعلا ؟

_ لا ولكن يوجد رجل من الزواحف على الهاتف الآن فعلا .

_ .....

صمت هو ولم يرد ، وهي أيضا لم تزد كلمة أخرى ، شعرت أنها قد أهانته كثيرا وهو لم يحاول رد الضربة أبدا ، هل هذا ذكاء منه لاستدراجها ، أم هو على هذه الدرجة من التهذيب !!

وتحت ضغط إحساسها بالذنب وجدت نفسها تقول :

_أنا آسفة ..

تعجب من إعتذارها ، لم يتوقعه ، ولكن شعر ببعض السعادة له

_ لا عليكِ أنا الزاحف والمتطفل وأستحق كل كلمة قلتيها

_ أنت طبيب في أي تخصص ؟

_ عظام

_ ربما هذا هو السبب

_ السبب في ماذا ؟

_ في كونك لا تفهم النساء

_ ماذا تقصدين !

لو كنت طبيبا نسائيا لتعاملت كثيرا مع النساء وكان هذا سيمنحك قدرا من الفهم في معرفة تفكيرهن ، فالنساء لا يتوقفن عن الشكوى لأطبائهن عن كل ما يزعجهن .

_ وكيف عرفتِ هذا ؟

_لأنني فعلت هذا كثيرا مع طبيبي لدرجة أنه في آخر مرة كان يضع سدادات للأذن .

ضحك وضحكت هي وبدأ نوعا من الارتياح يسري بينهما .

لا يعرفان معناه أو حدوده ، وحيدان هما ، وحيدان اشتركا في الحزن والألم غرباء تلاقا وغرباء يفترقا ولكن ما بين اللقاء والفراق نهرا عذبا من البوح يخفف عنهما وحدتهما ويجمعهما تحت ظلال من الألفة ، ألفُة الاستئناس بكيان آخر يمنحك شيئا من السكينة تحتاجها بشدة في تلك اللحظة الحرجة التي تقف فيها على جرف مرتفع قد تقع منه في أي لحظة وبكل قوة ..

بعد لحظة صمت هادئة ومريحة سألها :

_ما اسمك ؟

_ اختر لي اسما يعجبك ، ليست للأسماء قيمة

_ ولكنها وسيلة للتعريف والتقديم والنداء

_ جميل هذا الدرس ولكن الاسم الحقيقي لن يمثل فارقا هنا إلا لو كنت سجلا مدنيا أو مكتبا لتسجيل المواليد

ابتسم لدعابتها وقال بخبث :

_ حسنا سأسميكِ صلاح .

أنا صالح وأنتِ صلاح

استفزها الاسم وعقدت حاجبيها بغضب طفولي وقالت :

_أفهم لعبتك ، تريد استفزازي لأخبرك بإسمي الحقيقي ! حسنا أيها المستفز إسمي سلوى .

_ جميل سلوى أفضل من صلاح بكثير .

ابتسمت رغما عنها ، تبا له إنه يلهو بها كيفما شاء . لماذا تستمر في الحديث معه وهي لا تعرفه ؟ وراءها الآن مهمة كبرى ، عبور كبير إلى الجانب الآخر ، لا تريد أن يعوقها شيء أو يؤخرها .

_ أظن بعد أن عرفت إسمي وعرفت اسمك ، ورويت لي مشكلتك أننا وصلنا لنهاية هذه المسرحية العجيبة ، فلتبدأ في إنزال الستار واغلق الهاتف ونم ودعني لأستريح . سلام

قال بلهفة لم يستطع إخفاءها :

_ انتظري

_ ماذا أيضا ؟

_لم تخبريني عنكِ شيئا ، مع أنكِ عرفتِ عني الكثير ، هذا ليس عدلا

_ هل تدري حقا ما هو العدل ؟ هو أن تتركني في سلام

اتصل غدا ، ربما أكون حينها في مزاج أفضل فأقص عليك قصتي من بدايتها إلى نهايتها وسأترك لك بعدها وقتا كافيا للتصفيق .

شعر بمراوغتها ، ينبئه حدسه بأنها تخفي شيئا خطيرا وعبارتها التي ألقتها دون وعي في وسط كلماتها المندفعة ليست مجرد كلمات ، أحس بالقلق ماذا لو كانت تنوي الانتحار مثلا ولهذا تقول له اتصل غدا ليكون كل شيء قد انتهى !! ..

وفي محاولة أخيرة منه وقبل أن تضغط زر الإغلاق هتف

_ أعرف ما تنوين فعله فلا تفعليه ، لستِ بهذا الغباء لتهربي بهذه الطريقة . غضبتِ لأنني قلت بأنكِ إمرأة والنساء لا يستطعن إدراك الأمور ولا فهمها ، فهل أنتِ تتفقين معي الآن في هذا الرأي لهذا قررت أن تثبتِ صحته باتخاذك لتلك الخطوة الغبية؟

هو ليس متأكدا أنها تنوي الانتحار ولا يعرف مدى تأثير كلامه عليها هو كمن يلمس حافة زجاج مكسور برعونة ودون تقدير للعواقب ، ولكنها محاولة صغيرة لا يملك في جعبته غيرها ، ألقى النرد وأنتهى الأمر وليدعو الله بأن يتوقف النرد عند الرقم الصحيح ليفوز .

_ أنت لا تعرف شيئا فتوقف عن التحامق أيها الطفل الكبير .

_ بل أنتِ الطفلة التي تريد الهروب من مشكلة مؤقتة للقفز في هوة سحيقة لا نهاية لها .

قالت بحنق :

_ توقف عن جلسة العلاج النفسي تلك ، ما أنت إلا رجل وحيد خاسر ، لا تنسى هذا !

بلع الإهانة في هدوء وتنهد بصوت مسموع وقال:

_ على الأقل أخبريني ما مشكلتك ، فلتتركي شاهدا على آخر لحظاتك بالحياة ، أليست فكرة مثيرة أن نروي كل شيء ، أوجاعنا وارهاقنا في تلك الحياة لغريب لا نعرفه

ثم نمضي إلى النهاية ونحن نخلف وراءنا هذا الصدى من قصتنا ؟ لن أقول لكِ الانتحار حرام وكفر بالتأكيد أنتِ تعرفين هذا ، لن أدلك على الأشياء الجميلة في الحياة فأنا أعلم أنكِ الآن لا ترين إلا سوادها وقذارتها .

لن أذكرك بأحباء لكِ سيحزنهم فراقك فربما ليس لديكِ أحباء مثلي ، لن أعدد قصص الفاشلين الذين لم يستسلموا و استطاعوا النجاح في النهاية ، ولن أتوسل إليكِ لكي تحافظي على حياتك فأنا بالنسبة لكِ لا أحد .

ولكن ليكن مشهدك أنتِ الأخير ، وهذا مسرحك .

ألقي بآخر كلمات لكِ لتختتمي بها هذا المشهد الكبير ثم أرحلي كيفما شئتِ ودعيني أصفق لانتهاء العرض كما وعدتني .

لم تتكلم . أقلقه عدم ردها ولكنه لم يرغب في أن يتفوه بكلمة أخرى

خشية أن يضغط بشكل خاطئ على زر غضبها فيشتعل . يعلم أن ما قاله هشا ساذجا ولكن هي أيضا داخلها هش وبالتأكيد

ليست في لحظة قوة أو اتزان لتفكر بشكل سليم ، هو لعب على وتر الميلودراما والحزن المسرحي والشفقة على الذات والرغبة في توثيق لحظة الرحيل الموجودة في معظم البشر .

بصوت هادئ وبعد فترة صمت قالت:

_ أفهم لعبتك ، لست بالسذاجة التي تتصورها . تتخيل بأنك قادر على النفاذ داخلي ثم إنقاذي ولكن ما تريد إنقاذي منه يتعدى قدرتك على الفهم وقدرتي على الاحتمال ، إذا كنت أنت الرجل المهجور فأنا إمرأة الكهف . أقبع في كهف خسارتي ونقصي ، لست إمرأة كاملة . طلقني زوجي الأول لأنني لا أنجب برغم كل ما كان بيننا من حب ، يريد أن يكون أبا ولكن من جعلته حبيبا وزوجا وملكا على حياتها لا تستطيع أن تجعله أباً . لهذا فعليها أن تترك مسؤولياتها ومهامها لأخرى تمنحه ما عجزت هي عن منحه ، وكأنه سباقا للعدو تشترك فيه كل النساء لإسعاد كل الرجال ، وكل من يصيبها الإرهاق أو

تصاب قبل خط النهاية عليها أن تترك الميدان لغيرها ، فمهمة إسعاد الرجل مقدسة ولا يجب أن تتوقف أبدا . قرأت في أحد كتب السيرة بأن أحد الصحابة توفيت زوجته في الصباح ، فتزوج من أخرى بعد العصر خوفا على نفسه من الفتنة هل تتخيل هذا ؟

لا أعرف مما خلق الله قلوب الرجال ! ولماذا قلوبهم بهذه القوة والقسوة ؟

ولكن نحن الساذجات لا نكتفي من هذه الصخور البشرية ، كان لا بد أن أكتفي ولكن غبائي وكبريائي الأرعن جعلاني أقع في براثن صخرة أخرى ، قلب متحجر آخر ، سيد آخر يمتلئ بكل هذا الهواء الذكوري المقيت . كنت أظن بزواجي منه سأسترد كرامتي المهدرة وأنوثتي المرفوضة ، ولكن كيف وأنا ما زلت أعدو في هذا الماراثون المهين . والأمر في هذه المرة

كان مهلكا ، نزع مني روحي وفتتها ونثرها في الريح . كيف ألملم شتاتي وانا مبعثرة هكذا !

قال بصوت هامس وهو يخشى أن يكون صوته موقظا لها من استرسالها :

_ ماذا تقصدين بأنه نزع منكِ روحك ؟

قالت بحزن وألم وكأنها تجذب الكلمات من أعمق جزء فيها :

- حرمني من طفلتي ، زهرتي التي رويتها بكل الحب الذي لم يهتم به أحد ، بعمري الذابل وحنيني المجروح ، جعلتها اكتمالي لأنسى نقصي ، وحياتي التي لم أحياها إلا عندما رأيتها .

لم يتمالك نفسه من الدهشة :

_ طفلتك !! هل أنجبتِ منه ؟

_ بل هي ابنته من أخرى ولكنه منحها لي لأكون أمها ، أخذها من أمها بعد أن خانته و إمعانا في انتقامه منها كتب البنت بإسمي وأصبحت أمها رسميا ، كان عمرها عاما ونصف فقط ،

واستطاع بماله ونفوذه أن يزور شهادة ميلادها وينسبها لي ، نعم قبلت أن اكون زوجة ثانية لرجل غني وذو مركز ونفوذ لأستمد منه القوة وأرى أنني ما زلت مرغوبة ولست مجرد وعاء معطوب للإنجاب يتم رميه بلا رحمة .

_ وهل قبلتِ هذا التزوير ؟

صرخت بغضب :

_ نعم قبلته . كيف ترفض الماء وأنت تموت عطشا ! كيف تمنحك الحياة فرصة للاكتمال وتأباها ؟

لسنا ملائكة ، وأيضا لسنا شياطين ، نحن مهرجون في سيرك الحياة نتأرجح بين النور والظلام ، الخير والشر ، الضعف والقوة

نمتلئ بكل شيء ونقيضه . أن أصبح أم كان بالنسبة لي طوق نجاة من موت بطيء ، كانت أرضا ثابتة أقف عليها بعد طول

انحدار على كثبان رملية متحركة ، ملأ غبارها صدري وقلبي وروحي .

_ ولكنكِ سرقتِ طفلة من أمها !!

_ أُمٌ خائنة ، ليس للخائنات قلوب ولا يصلحن أمهات .

_ ومن أنتِ لتحكمي عليها بأنها لا تصلح كأم وبأنها بلا قلب ؟

قالت بغضب:

_ ومن أنت لتحاكمني الآن ؟!!

نعم من هو ليحاكمها ومن هي لتحاكم إمرأة أخرى ! نحن الحكام والمحكومون الظالمون والمظلومون ، التائهون في دروب موحشة ، لكل منآ شبحه الذي يهرب منه وهو يحمل على ظهره خوفه وأوجاعه ، نعالج جروحنا بجرح الآخرين ، نقف في منتصف الطريق ونصرخ ، لا أحد يسمعنا ولا أحد يفهمنا ، كلنا نصرخ ونركض ونتخبط ، ومن يستطيع العبور بسلام قليلون ، هؤلاء الذين رفضوا الركض وربطوا على

قلوبهم بالصبر ولم يحملوا الآخرين جراحهم وحملوها وحدهم فساعدهم الله على حملها فوصلوا آمنين .

_ أنا لا شيء ، مجرد مذنب مثلك ، ومظلوم مثلك وتائه في الطريق .

_ لا أحد يرى نفسه مذنبا، الكل له مبرراته ، والكل يمتلك مرآة عاكسه ، يعكس بها الحقائق كما يريد .

القاتل والمقتول ، السارق والمسروق ، الظالم والمظلوم ، العالم والجاهل ، المؤمن والملحد ، كل له حُجته على خطأ الآخر وصوابه هو .

_ نعم أنتِ على حق ، ولكنكِ على باطل أيضا ، تستخدمين الحق في تبرير الباطل ، وهذا منتهى العبث . ولكن دعينا من هذا الآن

اخبريني لماذا أخذ منكِ الطفلة ؟

قالت بعصبية :

_ لأنني لم أسر على هواه ، لم أصبح تلك الجارية التي يريدها ، كنت أتمرد وأرفض وأناقش وأحتد ، لهذا كان لابد من عقابي. كان يعلم بتعلقي الشديد بها ، لهذا حرمني منها ، فالعبد الآبق جزاؤه الموت ، ولا يوجد أشد من الموت البطيء ، أن أسلبك كل ما يصلك بعالمك ، ثم أتركك معلقا في الهواء ، مصلوبا بحرمانك ، تحتضن الموت وأنت على قيد الحياة .

_ باستطاعتك استعادتها ، طالما أنكِ في الأوراق الرسمية أمها ، لن يستطيع التزوير مرتين .

سمعها تضحك وتضحك ، ضحكة هازئة ساخرة مذبوحة من الألم .

_ أنت حقا أبله ، تعيش في عالم آخر ، لا تفهم كيف تُدار لعبة الروليت هذه ، يدور القرُص لتقف الكرة عند الرقم الذي يريده صانع اللعبة وليس المقامرون ، ويظن الخاسرون أن الحظ ليس حليفهم ، وهم في الواقع ضحية غبية لنصاب ذكي . أنا كنت

هذا المقامر الغبي ، هذه الأوراق تدينني أنا ، ولهذا هددني بها ، إن حاولت منعه من ذبحي سيقوم بكشف التزوير وسيتم سجني وخسارتها إلى الأبد ، حتى تلك الذكريات التي تحملها لي في قلبها سيحرقها عندما يخبرها بأنني لست أمها ، كيف أتصور هذا ؟ السجن لا يهمني ولكن أن تكرهني طفلتي هذا ما لا أحتمله

_ وكيف فسر لها ابتعادك عنها ؟

_ أخبرها أنني مسافرة في رحلة عمل أو توفيت في حادث لا أعرف على وجه اليقين ، أعتقد أنه اقتبس مشهدا ما من فيلم عربي قديم ليقنعها برحيلي ، فهو بارع في الاقتباس .

_ ليست هذه نهاية المطاف ، أستطيع أن أساعدك لتصلي إليها وتخبرينها بالحقيقة ، أعتقد لو علمت الحقيقة منكِ ستظل على حبها لكِ ولن تخسريها .

_ هل أنت مجنون ؟! لا أحتمل أن أخبرها بأنني سرقتها من أمها ، مجرد تخيل معرفتها بالأمر ترعبني . عندما أصبحت ابنتي كان عمرها عام ونصف ، الآن عمرها تسعة أعوام . تفهم وتدرك وتحب وتكره ، أصبحت قادرة على كل تلك المشاعر البشرية المخيفة ، ربما لو كانت أصغر لتفهمت الأمر ولسامحتني ، ولكن لا أعتقد أنها ستسامحني الآن ، أفضل أن أظل أمُا لها راحلة عن أن أكون لصة حقيرة سلبتها أمها .

لم يعرف بماذا يجيبها ، ما تقوله صحيح ، ولكنه مازال يرى أن هناك أملا ما قد يلوح في الأفق . ثم تبادر إلى ذهنه سؤال :

_ لماذا لم تحارب أمها من أجلها وتركتها لأبيها ولكِ ؟

قالت بمرارة :

_ساومها وهددها بفضحها ، كان يملك أدلة على خيانتها ، خافت فرضخت وقبلت بالانسحاب المتخاذل.

هذا ما رواه لي ، أنا لم أقابلها أبدا ، ولكن رأيت صورة لها ، جميلة جدا وابنتها ورثت هذا الجمال .

سمعته يقول :

_حقا ؟! هذا مثير .

_هه ، كل الرجال متشابهون ، تبا لكم جميعا . فلتبدأ التصفيق وداعا .

وأغلقت الهاتف دون أن يجد فرصة للرد أو لمنعها .

حاول الاتصال بها ثانية ولكنها لم ترد .!

حاول وحاول ولكن لا مجيب . شعر بالخوف و بالغضب كره عجزه عن مساعدتها ، كره عجزه عن مساعدة نفسه ، كل شيء خانق وزاعق ومخيف ، دار ببصره في أرجاء حجرته ، تلك الجدران التي حوت حلما جميلا ولحظات دافئة ، اليوم حملت من الغضب والرفض والخوف والألم ما يجعلها توشك

أن تنقض على رأسه ، وتضيق وتضيق وتطبق على صدره حد الاختناق ...

نهض وهو يجاهد ليتنفس ، استنشق آخر أمل وآخر قدرة على المقاومة وقرر أن يتحرك ، لن يستسلم ، ولن يجلس كالأموات متكفنا بضعفه تاركا للفشل قلبه وروحه ليأكلهما ببطء .

عليه أن ينقذها ، لينقذ نفسه ، ولينقذ روحه ، كلنا غرقى تتلاقى أيدينا تحت أمواج الحزن ، من يستطع الطفو والسباحة لأعلى ، سينقذ الجميع ، سيكون هو طوق النجاة ونقطة الضوء في آخر النفق .

الفصل الثالث

ميلادنا ليس خروجنا من أرحام أمهاتنا ، ميلادنا الحقيقي يبدأ من تلك اللحظة التي نقرر فيها أننا لابد أن نعيش الحياة ولا نستسلم أبدا.

حاول التركيز ، هي لم تعطه أي أسماء أو تواريخ أو عناوين ، فكيف يصل إليها ؟ كيف يعبر هذا النهر المجهول من الأحاجي الغامضة وهو مقيد اليدين ومغلق العينين !!!

فتح هاتفه نظر إلى رقمها ، هذا هو كل ما يملكه من معلومات عنها ، ما الذي يمكن أن يستفيده من تلك الأرقام البكماء التي لا تنطق بشيء !!

وراودته فكرة .. ربما تكون أملا زائفا ولكن هل يملك خيارا آخر ؟

اتجه مسرعا إلى اللاب توب فتحه بلهفة وهو يرجو الله أن لا يتبخر هذا الأمل ، دخل على موقع فايسبوك ، الملايين لهم حسابات فايسبوكية ورقم الهاتف وسيلة لعمل تلك الحسابات .

اختار خانة (استرداد حساب) ، ظهر له صندوق حواري يطالبه بكتابة البريد الإلكتروني أو رقم الهاتف ، بسرعة كتب رقم الهاتف .

وضغط بحث ، فظهر له حساب باسم " ورقة شجر " وتأكد من صورة الصفحة و التي كانت لإمرأة ذات ملامح أوروبية بالتأكيد ليست هي سلوى ، تلجأ كثير من النساء لصور الموديل أو الفنانات عوضا عن صورهن الحقيقية ، طلبا للخصوصية وخوفا من الاستغلال أو ربما لعدم ثقتهن بأنفسهن .

حفظ الاسم والصورة ثم بعملية بحث صغيرة في الفايسبوك وجد الصفحة المنشودة .

بحث في الصفحة ، آخر منشور مرّ عليه ثمانية أشهر ، يبدو أنها هجرت الصفحة منذ ذلك الوقت ، أعاد البحث في المنشورات والتعليقات وصور البروفايل القديمة لعله يجد أي شيء يقوده لمعرفة شخصيتها ، حتى قارب على اليأس ، ولكن

أخيرا وجد صورة تاريخها ينتمي لعامين سابقين ، لرجل أربعيني وامرأة شابة في حفل ما ، ومن خلال التعليقات عرف بأن المرأة هي صاحبة الصفحة، ووجد أحد التعليقات يلقي إليها بالتحية هي وزوجها ويذكر اسم الزوج " أستاذ مجدي عادل " . كتب الاسم بسرعة في باحث جوجل.

ظهر له أكثر من خمسين نتيجة . ولكن ضمن هذه النتائج وجد صورته ، نعم هو من رآه بجوارها في صفحة الفايسبوك رجل أعمال كبير له عدة مشروعات هامة في مصر ولكنه والحمد لله لم يكن ضمن قائمة أغنى مائة رجل عربي في العالم والتي ضمت حسب ما يتذكر عشرة أسماء لرجال أعمال مصريين ، لم يقرأ اسم مجدي هذا من ضمنهم ، لا يدري لما أشعره هذا ببعض الراحة ، وكأن غناه الفاحش سيخيفه ! لماذا نخشى المال والسلطة والنفوذ هكذا ولا نخشى من العلم والعلماء ؟ ما أهمية المال أمام العلم؟ أعتقد أن هذا السؤال إجابته

معروفة في بلادنا ، والنتيجة يكثر رجال الأعمال ويتضاءل العلماء أو يرحلون ويزداد الجهل والفقر والمرض ..

وأخيرا بعد عملية بحث صغيرة أخرى استطاع أن يصل إلى عنوانه ، رجال الأعمال والمشاهير أخبارهم في كل مكان وحتى عناوين مساكنهم .

نظر في ساعته مرت ساعة تقريبا منذ انقطع الاتصال بينه وبين سلوى وبداية بحثه ، هل مازالت على قيد الحياة ؟ هو يتمنى هذا بقوة .

مجدي هذا يقطن في شقة بحي الزمالك ، يعرف هو هذا الحي الراقي ، المسافة بين القاهرة والإسكندرية حوالي الساعتين ، هل يستطيع الوصول في الوقت المناسب !!!

دار في رأسه هذا السؤال وهو يرتدي ملابسه على عجل ويهرع إلى سيارته وقلبه يدق بعنف ، هو يسابق الزمن نحو شيئا مجهولا ، لا يعرف نهايته ولا يفهم حتى الآن بدايته

العبثية . كل ما يفهمه أنه طبيب وإنسان وأنها بحاجة له ، ولا بد أن ينقذها ، هذه المجهولة التي اقتحمت حياته ، او بمعنى أدق اقتحم هو حياتها فجذبته إلى بحرها الغامض . فتح هاتفه لينظر إلى صورتها مرة أخرى التي احتفظ بها ، امرأة جميلة عيونها بنية اللون لامعه شعرها كستنائي مموج ، قوامها معتدل ، ترتدي فستان سهرة رائع يدل على مستواها المادي المرتفع ، ربما كانت سعيدة في تلك الفترة هذا على الأقل ما تظهره الصورة ، أو ربما هي ممثلة بارعة تبتسم وقلبها مفعم بالحزن . قاد سيارته بأقصى سرعة تتحملها وعقله يمتلئ بكل الأفكار في شكل متشابك ومعقد ، وسؤال يدور ويدور ويتسع محيطه داخل عقله ، لماذا يفعل ما يفعله ؟ بدافع الإنسانية يحاول إنقاذها أم هو في الحقيقة يحاول إنقاذ نفسه بإغراقها في مشكلة أخرى بعيدا عن مشكلته الحقيقية!

أم هناك إحساس خفي ينمو داخله بالإعجاب تجاه هذه المرأة الحزينة صاحبة اللسان الطويل .. ابتسم وهو يتذكر صواريخها بعيدة المدى التي أطلقتها نحوه .

حاول الاتصال بها مرة أخرى ولكن الهاتف استمر في الرنين دون مجيب .

ماذا عساها تفعل في تلك اللحظة ؟ فكرة أن تكون ماتت تخيفه وفكرة انها تعاني الآن آلام الاحتضار تخيفه أكثر .

ليتها تجيب ....

****

على الجانب الآخر وهناك حيث تسكن سلوى في ڤيلا جميلة بحي المعادي و التي تزوجت فيها وتركها لها زوجها بعد الطلاق لأنه كان قد كتبها باسمها ضمن صفقة زواجهما ، الڤيلا دورين مكونة من أربعة غرف ، تطل غرفتها على حديقة

رائعة ، تتسم معظم بيوت تلك المنطقة بالطابع القديم حيث تم إنشاء هذا الحي في عهد الخديوي إسماعيل وقد قام بتصميم هذا الحي ضابط كندي يسمى الكسندر أدامز بناها ونسقها على الطراز البريطاني من خلال الشوارع والفيلات المكونة من طابقين وحديقة مليئة بنباتات نادرة .

هذا الحي به نادي شهير " المعادي سبورتينج " الذي أقيم فيه ملاعب الجولف والهوكي والفروسية وحمام السباحة إضافة للمساحات الخضراء وأماكن للمطاعم .

كانت هي ضمن أعضاء هذا النادي باعتبارها زوجة رجل الأعمال الكبير ، ولكنها ومنذ شهور لم تذهب إليه ، سئمت نظرات أصدقائها وتساؤلاتهم الفضولية ، حتى نظرات الشفقة كرهتها ، كل ما يذكرها بتلك السنين العجاف وسلب طفلتها منها حاولت الابتعاد عنه ، كانت تأخذ طفلتها لهذا النادي

تراقبها وهي تتعلم السباحة وتركض مع أصدقائها أو تمزح معهم .

كانت ملاكا جميلا جعلت أيامها جنة ، كانت النقطة الوحيدة المضيئة في حياتها وببعدها عنها خرجت هي من الجنة وظهرت سوءتها ولم تجد حتى ورقة شجر لتحتمي بها ، عارية هي من كل شيء .

حتى أسرتها لم تقف بجوارها، اتهموها بأنها السبب و هي من جعلته يطلقها برعونتها وتمردها وشخصيتها المضطربة ، هاجموها وطلبوا منها أن تذهب إليه ، تعتذر وتقدم فروض الولاء والطاعة ، تقدم صك عبوديتها برضاها ، فهو السيد صاحب المال ، هو من وظف أخيها وسفرّ أبيها لقضاء فريضة الحج .

لم تفهم حتى الآن كيف يتفق أن يكون الإنسان حاجا وظالما ؟

ظلمها أبوها لأنه لم ينصحها لم يمنعها ، فرح هو واخوانها بهذا الزوج الثري ، لا تنكر أنها هي أيضا فرحت به ، أتاها في وقت كانت فيه مهزومة بعد معركتها الخاسرة مع زوجها الأول ، حبها الأول ، أحلامها الأولى ، حقيقتها الوحيدة التي كانت تعرفها ، لا تدري الآن من هي وما حقيقتها ! ..

طردتهم من بيتها ، لن تخضع ولن تقدم فروض الولاء والطاعة ، لا تريدهم ولا تريده ، أهلها وزوجها هم سبب دمارها وعليها أن تتخلص منهم جميعا ، ومنذ أن طردتهم لم يسأل عنها أحد ، طلقوها هم أيضا من حياتهم . ذكور ذكور ذكور

كل مأساتها في الحياة هم الذكور ، زبانية جحيمها هم الذكور زوجيها وابيها واخوانها .

ليتك هنا يا أمي ، العالم موحش كئيب بدونك ، الدنيا امتلأت بالوحوش الكريهة رحيلك كشف ظهري للجميع

فتكالبوا عليه جلدا وتمزيقا بأسواطهم وأنانيتهم وجشعهم .

هذا ما كانت تقوله دائما لأمها كلما وقفت أمام صورتها الكامنة في جدار غرفتها ، نقلتها من الصالون لتضعها في غرفتها لتستدفئ بها وبذكرياتها " حتى وأنتِ صورة يا أمي تشعين دفئا ."

اتجهت سلوى بخطوات متثاقلة نحو المطبخ ، لم تعر لرنين الهاتف المتواصل أية أهمية . ما حاجتها لذكر آخر متطفل كيف للجحيم أن ينبت منه الملائكة ، نعم يبدو مكسورا ومهزوما مثلها ، ولكن ربما زوجته مذبوحة ..

بطريقة جنائزية بدأت طقوس نهايتها ، أعدت لكل شيء عدته ، تفكر في الانتحار منذ شهور وفي النهاية قررت أن يكون يوم مولدها هو يوم وفاتها ، أعجبتها تلك الفكرة الكلاسيكية ، إن عاشت كما يريد الآخرون ، فلتمت كما تريد هي ، لهذا تنتظر حتى تدق الساعة الثانية عشرة معلنة عن بدأ يوم مولدها ووفاتها معا . نعم تعلم أن الانتحار خطيئة ، ولكن رغبتها في

توقف هذا الألم لا تترك لها فرصة للتراجع ، تحتلها رغبة الموت وشهوته بدرجة تفوق خوفها من الجحيم ، لم تكن تعرف أن للموت شهوة حتى احتلتها ، كساحر يحرك يديه ويتلاعب بك وبعقلك ليلهيك عن حقيقة ما يفعله

يأخذ بصرك وبصيرتك ولا تنتبه إلا وخدعته قد اكتملت وسحره قد نفذ إليك وأنتهى الأمر وما عليك سوى التصفيق له بقوة وانبهار لبراعته .

أمامها الآن تشكيلة رائعة من الحبوب ، ألوانها مختلفة .

شيء مبهج أن تموت بالألوان ، تفترش أمعائك في تؤدة ، تسلب وعيك بالتدريج ، تضعك في حالة خمول ، تذهب بك في رحلة هادئة إلى العالم الآخر ، محاطا بموسيقى لونية ، غارقا في سحرها .

هكذا تخيلت تلك الحبوب المنومة عندما تسكن داخلها ، أفضل طريقة للرحيل وأقلها فوضى وألم .

نظرت لسلاحها القاتل .

كبسولات دورميفال ، وحبوب الميلاتونين و أقراص البنادول نايت . ابتسمت وهي تتذكر أسماء بعض المشاهير الذين توفوا بنفس الطريقة وقرأت عنهم :

الممثلة وعارضة الأزياء الأميركية أنا نيكول سميث التي كانت تبلغ من العمر ٣٩ عام ، وجدت جثة هامدة في غرفتها في فندق بولاية فلوريدا. واكتشف المحققون الأميركيون أن سبب الوفاة هو تناول جرعات زائدة من الأدوية المنوّمة مع خليط من أدوية أخرى.

الممثل الاسترالي هيث ليدجر البالغ من العمر ٢٨ عام ، وأحد أبطال فيلم «جبل بروكباك» الحائز على جوائز سينمائية، عثر عليه ميتا في شقته في نيويورك .

وأكدت نتائج التشريح أنه قضى بسبب جرعات زائدة من الأدوية المنومة كانت موصوفة له .

ملك البوب الأميركي، مايكل جاكسون، نام نومته الأبدية في ٢٩يونيو عام٢٠٠٩ نتيجة تعاطيه خليطا من الأدوية المنوّمة والمهدئةّ والمسكّنة.

وتخيلت خبر مصرعها حين يكُتب : العثور على إمرأة لا يحبها أحد جثة هامدة في منزلها بتأثير تعاطي كمية من الحبوب المنومة ، تبلغ من العمر ٣١عام ، ومن القهر ألف عام ..

****

بعد ساعتين مرهقتين قطع فيهما ٢١١ كيلو متر وهي مسافة الطريق الصحراوي بين الإسكندرية والقاهرة .

وصل صالح للقاهرة كان يشعر بجوع شديد وتذكر أنه لم يأكل شيئا طوال اليوم والساعة الآن قاربت على الثانية عشرة صباحا ، ولكن لم يكن لديه وقت للتوقف لتناول شيء ، ولا شهية للطعام ، عليه أن يتناسى معدته الآن فاللحظات القادمة تحتاج لتركيزه كله ، قاد سيارته بين شوارع القاهرة الجميلة ولكن لا يهتم بمعالمها الآن ، سار بأقصى سرعة حتى وصل إلى كوبري١٥ مايو والذي سيهبط منه ليكون في حي الزمالك ، حيث أنه جزء من جزيرة قابعة في غرب القاهرة ومنتصف النيل تقريبا ، ولكنه لم يعد جزيرة معزولة بل أصبح له عدة

طرق تصله بمعظم مناطق القاهرة الهامة ، لهذا حي الزمالك يعيش فيه الكثير من الأثرياء والمشاهير لفخامته وسهولة الانتقال منه لأي منطقة أخرى في القاهرة . فتح هاتفه ليتأكد من عنوان الشارع والعمارة التي يقطن فيها مجدي عادل ، واستعان ببعض المارة حتى وصل إلى المكان المنشود ، ترجل من السيارة واتجه إلى العمارة فاستوقفه حارسها وهو يسأله عن وجهته .

_ أنا دكتور صالح وأريد الصعود لشقة أستاذ مجدي عادل

_ هو ليس هنا الآن خرج بسيارته من ساعتين

_ ألا تعرف أين ذهب ؟

_ سمعته يخبر سائقه بأن يتجه به إلى فندق الماريوت ، لا يبعد عن هنا كثيرا

_ نعم أعرفه شكرا لك .

ركب سيارته بسرعة وانطلق إلى فندق الماريوت ، هو يعرف هذا الفندق حضر فيه مؤتمرا طبيا عُقد منذ عامين

قرأ حينها عن هذا الفندق ، يحب دائما أن يعرف بعض المعلومات عن أي مكان يذهب إليه ، عرف وقتها أن هذا الفندق بناه الخديوي إسماعيل كقصر

ليستقبل فيه ضيوف حفل افتتاح قناة السويس وخاصة ضيفة شرف الحفل الإمبراطورة أوجيني زوجة الإمبراطور نابليون الثالث. وكلف بناء القصر في هذا الوقت حوالي ٧٥٠٠٠٠جنيه لأن ديكوراته

واكسسواراته كلها كانت من باريس. وفي عام ١٨٧٩تم بيع هذا القصر للحكومة المصرية لتسديد جزء من ديون الخديوي إسماعيل لمصر، فحولته الحكومة المصرية إلى "فندق قصر الجزيرة" لكن بعد أن تدهورت السياحة في مصر بعد الحرب العالمية الأولى قامت الحكومة ببيع القصر لثري لبناني وهو

الأمير حبيب لطف الله سنة ١٩١٩ وأبقى عليه كسكن خاص به. وفي سنة ١٩٦٢تم تأميم القصر وتحول إلى فندق باسم عمر الخيام

وفي بداية السبعينيات تولت شركة ماريوت العالمية إدارة الفندق .

وصل أخيرا إلى الفندق المهيب ، وعبر رواقه بسرعة حتى وصل إلى موظف الاستقبال ، قدم له نفسه ثم سأل عن مجدي عادل ، أخبره الموظف أنه في قاعة الطعام يتناول العشاء مع بعض أصدقائه .

هرول مسرعا حتى وصل إلى القاعة وبحث بعينيه عنه ، هو رأى صورته وبالتأكيد سيعرفه ، فهو له وجه مميز .

أبيض يميل إلى الحمرة وممتلئ قليلا وذو حواجب كثة وشارب خفيف . متوسط البنية خفيف الشعر . ووجده بالفعل يجلس مع اثنين من الرجال يتناولون الطعام ويتكلمون في جدية .

اتجه رأسا إليه فالوقت يركض ركضا .

خاطبه بصوت هادئ :

_أستاذ مجدي هل ممكن أن نتكلم قليلا ؟

رفع مجدي رأسه إليه ونظر له نظرة متفحصة وهو يسأله :

_ من سيادتك ؟

_ دكتور صالح ، وأريد أن اتحدث معك لدقائق في موضوع خاص .

فهل تسمح بأن ننتقل إلى مائدة أخرى لنتكلم بشكل أكثر خصوصية ؟ لن أعطلك كثيرا .

ملأت الدهشة عين مجدي ولكنه قام بهدوء وسار نحو مائدة فارغة في نهاية القاعة وصالح يسير وراءه حتى وصلا إليها فجلسا

_ تفضل قل ما جئت من أجله

_ باختصار شديد ، أنا طبيب زوجتك ، اتصلت بي وأخبرتني بأنها ستنتحر اليوم ، للأسف لا أعرف عنوانها ، وأريدك أن تساعدني لننقذها .

نظر إليه مجدي وكأنه ينظر إلى معتوه ، ثم عاد بظهره إلى الوراء وهو يقول :

_هل لديك كلام منطقي أكثر من هذا أم أقوم لأكمل عشاءي قبل أن يبرد ؟

لم يتمالك صالح أعصابه وضرب المائدة بيده وهو يقول :

_ لا أمزح معك ولست بمجنون ، زوجتك سلوى الآن تحتضر ولا بد أن تساعدني في إنقاذها وإلا سأذهب إلى الشرطة وأخبرهم بأنك من قتلها .

لم يتفوه مجدي بكلمة ولكنه ظل يتأمل صالح وكأنه يقيم الموقف من جميع الزوايا ثم سأله :

_وكيف أعرف بأنك تقول الحقيقة ؟

_ أخرج صالح بطاقة هويته ووضعها أمام مجدي ليقرأ اسمه والمهنة طبيب ، ثم أخرج هاتفه ليتأكد مجدي من رقم سلوى وهو مدون فيه وليرى عدد المكالمات بينهما وفترتها ، وعدد المرات التي حاول الاتصال بها ولم ترد .

أطرق مجدي قليلا ثم قال :

_ هل أنت طبيبها حقا ؟

اشتعل صالح غضبا، فالوقت لا يسعفه لهذه المهاترات ولكنه تحكم في نفسه سريعا وقال بهدوء ولكن بحزم :

_ تعالى معي لننقذها أو اعطني العنوان لأنقذها وحدي فالأمر لا يحتمل كل هذه المماطلة .

الموقف بالفعل كان عجيبا ، ولكن صالح لم يترك لمجدي فرصة لنقاشه، وتهديده بأنه سيتوجه إلى الشرطة جعله يتردد في طرده ، كما أن سلوى لا تعنيه في شيء ، سواء كانت بالفعل تنوي الانتحار أو أن هذه لعبة منها لاستدراجه للوقوع

في مصيدة ما ، فهو لن يتحرك من مكانه ، فليدل هذا الطبيب على بيتها ويجلس هو هنا أمام كل هؤلاء الشهود و لن تستطيع الإيقاع به بأي شكل . تنحنح مجدي واعتدل في جلسته ثم أخرج ورقة من جيبه وكتب فيها عنوان سلوى بهدوء وأعطاها له . ثم قام واتجه إلى أصدقاءه ليكمل عشاءه وكأن من تحتضر الآن هرة صغيرة لا قيمة لها . نظر له صالح باحتقار ثم خطف الورقة بلهفة وهرول مسرعا نحو باب الخروج ، ونظرات مجدي تتبعه .

وصل إلى سيارته وأشعل محركها وضغط على البنزين لتصل السيارة لأقصى سرعة لها ، وأخذ ينهب الأرض نهبا نحو المعادي حيث تسكن سلوى . وصل بعد نصف ساعة أخرى ، كانت الساعة تقارب الواحدة والنصف ، ركن سيارته وركض نحو الفيلا ، كان بابها الخارجي مغلقا ، فتسلق السور بصعوبة وقفز أرضا فارتطم بالأرض بقوة وشعر بالألم في قدمه

وذراعه ولكنه نهض سريعا لم يبالي بآلامه وركض وهو يعرج عرجا خفيفا بتأثير السقطة ، حتى وصل إلى الباب ، أخذ يطرق الباب بقوة ولكن لا مجيب ، دار حول البيت في محاولة منه لأن يجد أي نافذه أو مدخل يستطيع من خلاله الوصول إلى داخلها ، وبعد قليل لمح نافذة المطبخ الزجاجية ، حاول فتح مزلاجها وتحريكه فلم يستطع ، نظر حوله بحثا عن أي شيء يفتح به النافذة ، وعندما لم يجد

أمسك بحجر كبير نسبيا وألقاه نحو النافذة فتحطم زجاجها بصوت هائل ، ولكنه لم يبالي وتسلق النافذة وعبرها بحرص خوفا من الزجاج وأخيرا أصبح داخل الفيلا .

المطبخ يبدو كبيرا ومرتبا ولكنه لمح علب أقراص منومة ومهدئة بجوار الحوض اشتد خوفه ، خرج من باب المطبخ فوجد نفسه في صالة فسيحة بها صالون راقي وعلى الجدران لوحات جميلة ، وفي قلب هذا البهو سلم يؤدي إلى الدور الثاني

، صعده بسرعة بحثا عن غرفة النوم ، فرأى أربعة أبواب ، فتح الباب الأول فظهرت غرفة نوم أنيقة باللون البني الهادئ ، السرير مرتب ولا يدل على أن أحدا قد استعمله خلال الساعات الماضية ، أغلق الباب واتجه للباب الثاني ، وبمجرد أن فتحه وجدها على السرير نائمة في هدوء وهي تحتضن صورة كبيرة ، دق قلبه بعنف وهو يقترب منها ، جس نبضها فوجده ضعيفا جدا .

يا الله .. إنها مازالت على قيد الحياة ولكن نبضها لا يبشر بالخير

رفع الصورة ونظر لها نظرة خاطفة فوجدها صورة إمرأة مسنة ، خمن أنها صورة أمها .

حملها على ذراعيه وركض بها إلى الأسفل ، فلا وقت لاستدعاء الإسعاف ، فتح الباب ، واندفع نحو سيارته ، ادخلها برفق في المقعد الخلفي ، ثم ركب السيارة وانطلق بها نحو

المستشفى ، لم يكن يعرف أين تقع أقرب مستشفى لهذا ، فتح ال Gps ليحدد موقعه وموقع اقرب مستشفى إليه ، فوجدها على بعد عشر دقائق تقريبا ضبط اتجاهه ، واندفع إلى الطريق في محاولة يائسة لإنقاذها في الوقت المناسب ، بمجرد وصوله أوقف السيارة ، وخرج منها وفتح الباب الخلفي بسرعة وحملها وهو يجري إلى داخل المستشفى ويصرخ " طبيب ، أريد طبيب فورا ".

****

الفصل الرابع

الخروج من شرنقة النفس وأنانيتها يُنبت للقلوب أجنحة ، ويجعل للحياة معنى ، ويضيء كل الدروب المُظلمة.

كان الظلام حالكا، أصوات تتداخل بشكل عجيب ، لا تسمع سوى همهمات . تتصاعد تلك الهمهمات ويعلو صوتها .

الضجيج يخنقها و لا تستطيع إيقافه ، يدها عاجزة عن الحركة ، قلبها ينزف ، الظلام يحيط بها ، يضيق ويضيق ، حتى يكاد صدرها أن ينفجر بحثا عن ذرة أكسجين .

وفجأة وقبل الانفجار بلحظة ، يهدأ كل شيء وتفتح عينيها دفعة واحدة فتجد نفسها راقدة على سرير أبيض وحولها جدران بيضاء

ووجه غريب ينظر إليها بابتسامة ودودة ، اغلقت عينيها في إرهاق ثم عادت و فتحتهما ببطء فوجدت ذات الوجه وذات الابتسامة لرجل لا تعرفه في الثلاثينات من العمر متوسط الطول معتدل البنية حليق الشارب واللحية ، حاولت أن تسأله من هو ولكن لسانها كان ثقيلا جدا وحالة خمول تجتاح جسدها كله . تململت وحاولت النهوض ، فأسرع هذا الشخص الغريب ووضع يده على كتفيها وهو يقول بحنان عجيب :

_لا تتحركي مازال جسدك ضعيف ، هل تشعرين بالألم ؟

هذا الصوت ليس غريبا على أذنيها ، سمعته من قبل ، ولكن أين ! لا تتذكر ..

- ألا تسمعينني ؟ أنا صالح

" صالح " تتذكر هي هذا الاسم نعم ولكن هذا الضباب اللعين الذين ينتشر في رأسها يحجب عنها قراءة ما في ذاكرتها بوضوح

_ لا عليكِ أعلم أن عقلك لم يسترد وعيه الكامل بعد ، سأبقى معكِ حتى يصفى ذهنك تماما وتتذكرينني على مهل .

لست متعجلا ولن أذهب إلى أي مكان .

وابتسم ابتسامة مرحة وهو يجلس على مقعد قريب من السرير الذي ترقد عليه .

اغمضت عينيها مرة اخرى وراحت في سبات عميق .

جلس صالح ينظر إليها ويتأمل ملامحها وهي نائمة في هدوء ، تمتلك وجها طفوليا جذابا ، قطة شرسة ولكنها في منتهى الوداعة وهي نائمة ، مرّ يومان وهي في غيبوبة ، وهو لم يبرح المستشفى إلا خمس ساعات فقط . ذهب فيهم لاستئجار غرفة في أحد الفنادق القريبة من المستشفى ، كان يريد أن يغتسل ويغير ملابسه ويأكل وينام ، ولكنه لم يحضر معه ملابس أخرى غير التي يرتديها فاكتفى بالاستحمام وطلب

الطعام في غرفته ، وأكل وشرب قهوته وهو ساهم ويفكر في كل تلك الأحداث الغريبة والمتلاحقة والتي مرت به في الساعات القليلة الماضية .

من كان يفكر بأن صالح الطبيب الناجح الذي لا يعرف في الحياة سوى عمله ، لا أصدقاء ولا اهتمامات عائلية أو ترفيهية

يصبح بين عشية وضحاها فاعل مؤثر في حياة إمرأة لا يعرفها

نسي عمله ومشكلته وانخرط بشكل لا إرادي في مشكلتها .

يشعر بالمسؤولية تجاهها رغم أنه لم يعرفها إلا من ساعات

.ولكن إحساسه بها يتعدى تلك الساعات ليصل إلى عمق

احتياجه لمن يخرجه من لحظة السقوط ، رحيل زوجته وما قالته قبل رحيلها كسر بداخله شيئا لم يفهمه حتى الآن ، بعثر

كل قطع البازل التي تشُكل كيانه وفهمه للأمور ، الآن يبدو كل شيء مبعثرا لا منطقيا عبثيا حد الجنون .

ما كان يظنه صوابا ثبت خطأه ، وما كان يظنه خطأ أضحى صواب

وانقلبت الموازين وأتت الرياح فاقتلعته من جذوره . ترك زوجته للبيت هو في حقيقته فشل ذريع له كزوج وأب ورب أسرة ، ما قيمة أن يكون طبيبا ماهرا وزوجا وأبا فاشلا !؟

ما قيمتنا الحقيقية بدون احبائنا ! كيف نشعر بما حققناه وليس معنا من نشاركه هذا النجاح . أجمل لحظة تشعر فيها بقيمتك هي عندما تنظر أسرتك إليك بفخر . في تلك اللحظة يكون نجاحك حقيقيا وذا معنى .

أحب أولاده وأحب زوجته ولكنه عجز عن أن يجعلهم جزءاً حقيقياَ من حياته فتركوه وطردوه من حياتهم .

هل مازالت أمامه فرصة لإعادتهم إليه أم أن رحيلهم كان ذهابا بلا عودة !!

ظل هذا السؤال يتردد في ذهنه حتى نام من شدة الإرهاق والتعب دون أن يشعر ...

بعد فترة لا يعلم زمنها استيقظ على طرقات خفيفة على الباب ، فتح عينيه بتثاقل وهو لا يدري أين هو ، حتى بدأ يستعيد صفاء ذهنه بالتدريج وتذكر أنه في غرفته بالفندق بعد أن ترك سلوى بالمستشفى واطمئن عليها وأن الإسعافات التي قاموا بها لإنقاذها من تأثير الحبوب المنومة قد كانت والحمد لله ناجحة وأنها بخير وستتعافى قريبا ، حينها فقط استطاع تركها وخرج إلى الفندق ليتعافى هو أيضا من هذه الليلة المضنية .

الطرق استمر على الباب فقام ببطء واتجه إليه وفتحه ليجد أمامه عاملة الفندق تسأله إن كان يريد شيئا خاصا على العشاء ، فشكرها وأخبرها أنه لا يريد شيئا .

أغلق الباب واستلقى مرة أخرى على الفراش وهو يفكر هذه المرة في سلوى وما يجب أن يساعدها به .

بعد فترة قصيرة قام وأرتدى ملابسه كاملة وخرج من الغرفة متجها إلى حيث ترقد سلوى .

وصل إليها فوجدها لا زالت في غيبوبتها ، ولكن الأطباء طمئنوه أنها ستسترد وعيها خلال وقت قصير . انتظر بجوارها حتى وجدها تفتح عينيها وتنظر إليه ، شعر بفرحة غامرة عندما التقت نظراتهما ، يا الله .. ! وكأنه يعرفها من عشرات السنين ، لا يشعر بأنها غريبة عنه ابدا ، ربما لأنهما تقابلا في لحظة حرجة لكلا منهما ، كانا في تلك اللحظة غرباء عن الحياة ، والغرباء يتآلفون سريعا يلتقون في لحظة افتراقهما عن أوطانهم ، فيصبح كل منهم وطنا للآخر وامتدادا له .

عندما استيقظت سلوى ثانيا ابتسم صالح وقال لها :

_ لو أغمضتِ عينيكِ ثانية سآمرهم بأن يربطوا جفنيكِ في عمود السرير .

ضحك مداعبا ولكنها لم تضحك ونظرت إليه وسألته :

_من أنت ؟ وكيف جئت إلى هنا ؟ هذه مستشفى أليس كذلك ؟

_ بالنسبة لسؤالك الأول أنا صالح الطبيب الذي تحدث معك هاتفيا وأغلقتِ الخط في وجهه مرتين ثم تجاهلتِ رناته .

أما بالنسبة لكيفية مجيئك

رفع يديه عاليا وهو يقول : _جئتِ على هذا العرش أميرتي .

أما سؤالك الأخير فإجابته هي نعم هذه مستشفى

.

حاولت ترتيب كل الفوضى داخلها لتتذكر ، وبالفعل تذكرت مكالمتها الطويلة مع هذا الطبيب ثم انتحارها ثم

...

رفعت عينيها إليه وكأنها تراه من جديد وهي تجترّ تفاصيل مكالمتهما وتتذكر كم كانت قاسية معه وكيف روت له مأساتها ولكنها لم تتذكر أنها أخبرته بعنوانها ، فكيف .. ؟

رأى في عينيها حيرتها وعلم بالسؤال الذي يسبح بين حدقتيها خارجا من عقلها المضطرب . فأسرع بالإجابة قبل ان تتفوه هي بالسؤال : _من خلال رقم هاتفك وصلت إلى صفحتك في الفايسبوك وبالبحث فيها وجدت صورة قديمة تجمعك بزوجك فعرفت من هو ومن خلاله عرفت عنوانك ووصلت إلى ڤيلتك واضطررت إلى تحطيم نافذة مطبخك لأدخلها ثم صعدت إلى غرفتك فوجدتك في غيبوبة فحملتك وأتيت بكِ إلى هنا ،

والحمد لله استطاعوا إنقاذك في اللحظات الأخيرة وقبل أن يحدث خلل بالمخ و تتوقفي عن التنفس .

كان يتكلم وهي تنظر له ولسانها معقود من الدهشة ، وعندما انتهى ظلت دون حراك ، وكأنها تمثالا من الشمع .

وفي تلك اللحظة دخلت الممرضة وهي تلقي التحية ثم تتجه إلى سلوى وعندما وجدتها مستيقظة ابتسمت لها وقالت :

_ حمدا لله على سلامتك ، هل تشعرين بأي ألم أو غثيان ؟

هزت سلوى رأسها ببطء ثم همست بصوت منخفض جدا خشية أن يسمعها صالح بأنها تريد الذهاب للحمام .

ابتسمت الممرضة مرة أخرى وقالت :

_ طبعا عزيزتي اعطني يديكِ وحاولي النهوض ببطء

ولكن سلوى نظرت بخجل لصالح ففهم أنها تتحرج منه ، فاتجه نحو الباب وهو يقول سأذهب وأعود بعد ساعة لأطمئن عليكِ السلام عليكم

رددت سلوى والممرضة : وعليكم السلام

ثم اتكأت سلوى على مرفقها وساعد الممرضة ونهضت من فراشها ، شعرت بعدم الاتزان قليلا ثم استجمعت قوتها ووقفت بثبات و اتجهت إلى الحمام بمساعدة الممرضة .

صالح خرج من المستشفى ليستنشق بعض الهواء وليفكر بهدوء .

عادت سلوى إلى غرفتها ، ارقدتها الممرضة في سريرها وأعادت ضبط المحلول لها ، واعطتها الدواء ثم قالت لها أن الطعام سيأتيها بعد قليل ، وتركتها وانصرفت .

نظرت سلوى إلى سقف الغرفة وغرقت في أفكارها ، لا تعرف ما هي مشاعرها بالضبط تجاه وجودها على قيد الحياة ، مازال عقلها مشوشا واحساسها بما حولها شبه معدوم ، وكأنها خرجت من جسدها وتشاهد نفسها من بعيد

، كانت تريد الرحيل عن الحياة بشدة ، ولكن مكالمة تليفونية خاطئة غيرت مسارها من الاتجاه للنهاية إلى العودة للحياة مرة أخرى .

لا تعرف هل تكرهه أم تشعر بالامتنان له لأنه انقذها .

ما فعله مذهل حقا ، انقاذه لها موقف بطولي يستحق التصفيق ، ولكن في الحقيقة هي ترغب في صفعه ، كيف ستواجه الحياة مرة اخرى وهي بلا حياة !!

هل تحاول الانتحار ثانية ؟ وهل تمتلك القدرة على فعل هذا مرة أخرى ؟

استغرقت شهورا طويلة لتتخذ هذه الخطوة وعندما قامت اخيرا بالقفز وجدت من يعيدها إلى البداية من جديد ..

وفي خضم أفكارها هذه سمعت خطوات تقترب من الغرفة ثم أطل صالح بوجهه البشوش .

_ ممكن أدخل ؟

قالت سلوى بصوت واهن:

_ طبعا تفضل

دخل صالح وجلس على مقعده الأثير بجوار سريرها أطرقت سلوى لحظة ثم قالت :

_ أشكرك على إنقاذك حياتي لم أتوقع أن تفعل هذا ، لم أتوقع أن تكون بهذا الذكاء لتصل إليَ

وبهذه الشجاعة والنبل لتنقذني

ابتسم صالح وهو يقول :

_ لا تشكريننـي فكل منّـا أنقذ الآخر .

نظرت إليه في حيرة ثم قالت :

_ وكيف هذا ؟

_ كنت في حالة يائسة مثلك أوشك على السقوط ولكنك كنتِ اشجع مني فقفزتِ قبلي ، انقاذي لكِ أعادني لنفسي خفف عني ما كنت أشعر به ، شغلني عن مشكلتي

، ربما لو لم نتقابل لكنّا الآن جثتين وانتهى الأمر

_ لا اظنك كنت ستنتحر لأن زوجتك تركتك ، الرجال لا يفعلون هذا .

أنت تحاول التخفيف عني وتتواضع لتنفي بطولتك ، هذا جيد ولكنه غير مُجدي ، لابد أن أشكرك ولا بد أن تتقبل حقيقة كونك بطلاً .

نظر لها نظرة ذات مغزى وهو يقول :

_هل انتِ حقا بهذا الذكاء ؟

نظرت له بغضب ولكن استعادت هدوئها سريعا ونظرت للجهة الأخرى وهي تقول :

_ في الحقيقة أنت ارتكبت خطئا فادحا بإنقاذك لي ، ما الذي تغير في حياتي لأعود إليها ؟!

_ وما الذي كنت ستفوزين به لو تركتيها بهذه الطريقة ؟

تهربين من العذاب لعذاب اشد ، أي غباء هذا !!

قالت بسخرية ممتزجة بغضب :

_قلت منذ قليل بأنني ذكية وشجاعة !

_ نعم قلت ، أنتِ كذلك بالفعل ، ولكن حزنك طمس عنكِ بعض الحقائق فغامت الرؤية عن عينيكِ وفقدتِ بوصلة الاتجاه .

_ أي اتجاه ؟ ما الذي كان بيدي لأفعله ؟

_ بيدك تغيير كل شيء وتصحيح الأوضاع

_ كيف ؟

_ سنتكلم في هذا لاحقا لا أريد ارهاقك الآن ثم أن ..

قطع كلامه عندما دخلت العاملة تحمل صينية الطعام ، ووضعتها أمامها ، اعتدلت سلوى لتأكل وانصرفت العاملة قال صالح مازحا :

_ ألن تدعوني للطعام ؟

ابتسمت هي بدورها ثم قالت :

_لا . فهو طعام للمرضى لن يعجبك .

ضحك صالح وقال :

_ حسنا سأتركك الآن وأعود بعد قليل . خرج صالح وبدأت سلوى في الأكل دون شهية وهي تفكر في هذا الإنسان العجيب الذي خرج لها من القمقم ..

بعد حوالي الساعة عاد صالح ، نظر لها وهو يقول أعرف بأنك مللتِ من رؤيتي ولكنني لا اعرف أحدا هنا في القاهرة غيرك .

قالت بسخرية :

_ هذا محزن .

_ ليس كثيرا ، فأنتِ لستِ بهذا السوء

لم تتمالك نفسها من الضحك

_ لماذا تضحكين ؟

_ ولماذا لا اضحك ؟

تنهد بارتياح وهو يقول :

_أعتقد أنكِ أصبحتِ الآن بخير و تتعاطين مع الموقف بعقلانية ، وهذا يسمح لنا الآن بمناقشة الموقف وتقييمه وتحديد خطوتنا التالية .

انتهى من كلامه وهي تنظر له بدهشة ، ثم انفجرت في الضحك ، لم يفهم لماذا تضحك ولكن أعجبه ضحكها فظل ينظر لها بمرح .

وعندما توقفت عن الضحك قالت :

_ عفوا ولكنك مجنون بشكل كامل ، تتكلم وكأنك رئيس مؤتمر عالمي لمناقشة مشكلة اختفاء لعبة البلي من الشارع المصري وأثر هذا على الأطفال .

ضحك وهو يقول :

_ نعم هي حقا مشكلة خطيرة ، ولكن لنؤجلها لاجتماع آخر .

ثم قال بجدية :

_سلوى أعلم أنكِ غاضبة وحزينة وتعتقدين أن هذه هي النهاية لكِ ولحياتك ولهذا اخترتِ الرحيل ، ولكنني فكرت كثيرا وأرى أن هناك دائما حلاً لكل مشكلاتنا ، استطيع مساعدتك لو اردتِ . ولكن فقط عليكِ ان تمنحيني ثقتك وأن تفكري معي وليس ضدي .

_ هل استطعت أن تحل مشكلتك وتعيد زوجتك ؟

_ لا لم افعل بعد .

_ إذ ا فلتبدأ في تطبيق كلامك هذا على نفسك وحاول حل مشكلتك اولا .

_ ولكنكِ من حاول الانتحار وليس أنا .

_ هذه ليست مشكلتك ، لا شأن لك بما أفعله ، ممتنة لك لإنقاذك حياتي ، ولكن في حقيقة الأمر لم اطلب منك هذا ،ولم أكن أريده . من الحكمة ألا تحاول انقاذ من لم يطلب منك انقاذا . لا تستطيع أن تختار بدلا عن الآخرين

، لكل منآ خياراته وعليه أن يتحمل نتائجها وحده.

استمع لها في هدوء ، لم يغضبه كلامها ، يعلم أنها لا تريد الحياة وانه أفشل خطتها ولهذا هي حانقة عليه . وعليه أن يتفهم هذا جيدا .

_ حسنا عزيزتي ، أنا أخطأت بإنقاذك ولكن ألا ترين أنه كان يجب عليكِ قبل الرحيل تصحيح ما ارتكبته من خطأ في حق غيرك ؟

_ ماذا تقصد ؟

_ اسمحي لي أن أتكلم بصراحة ، فليس هذا وقت المراوغة ، انتِ ارتكبتِ خطئا في حق طفلتك ، حرمتيها من أمها مرتين ، إن لم تستطيعي أن تكوني لها أما وقررت الاستسلام والرحيل ، فلتعيدي لها أمها الحقيقية . ثم بعد ذلك ارحلي كما تشائين ، تخيلي حياة طفلة بدون أم ومع أب قاسي كهذا؟

كلمات صالح كانت موجهة لعمق قلبها وفي الصميم ، لم تكن ترى الأمر من هذه الزاوية ، كل ما فكرت فيه هو حرمانها هي من طفلتها ، فماذا عن حرمان طفلتها منها ؟ هي صغيرة وتحتاج لوجود أمها و حنانها ودفئها .

وللمرة الثانية يتم حرمانها من هذا الدفء و هذا قاسي جدا عادت سلوى من أفكارها ووجدت صالح ينظر إليها وينتظر تعقيبها على كلامه .

قالت بهدوء :

_ وماذا علي أن افعل ؟ أخبرها بأنني سرقتها من أمها لأن أمها خانت ابيها !

هذه الحقيقة ستدمرها .

_ لا لن تخبريها بهذا ، ولكن سنبحث أنا وأنتِ عن أمها ، ثم نحاول أن نعيدها إليها ، وبعدها يمكن لكي أن تنهي حياتك بضمير مستريح واعدك أنني لن انقذك هذه المرة .

هو يعلم أن الخطب والمواعظ لن تفيد الآن ، هي ليست في حالة اتزان نفسي لمناقشتها بشكل عقلاني ، وكان يخشى أن تحاول الانتحار ثانية بمجرد أن تجد الفرصة لذلك ، لهذا كان عليه أن يمدها بسبب مقنع وقوي للحياة ولو بشكل مؤقت ، إلى حين استردادها لكامل وعيها وإدراكها ، لتعلم بأن انتحارها ليس حلا بل جريمة . لهذا حرمه الله ويدينه الجميع .

بعد فترة صمت قالت سلوى وكأنها حسمت أمرها :

_وكيف سنفعل هذا ؟ أنا لا أعرفها ولم اقابلها أبدا ولا أعرف عنوانها .

_ سنعرف ، ببعض التفكير والبحث سنصل إليها

_ وبفرض أننا وصلنا إليها كيف سنعيد لها ابنتها ؟

_ سنجد وسيلة ما ، التزوير مهما كان محكما ممكن كشفه ، وحينها نستطيع تهديد مجدي به وبالتأكيد سيرضخ

_ أنت واهم ، التزوير يدينني كما قلت لك من قبل ، أنا سأسجن ويحتفظ مجدي برغد ولن تعود إلى أمها ، خطتك فاشلة سيدي الجنرال .

_ فكري معي قليلا ، لو هددنا مجدي بأنكِ ستعترفين بالتزوير وأنه من ساعدك فيه، وطبعا بالتأكيد والمنطقي أنه ساعدك لأنها ابنته ويعرف أمها الحقيقية ، تواطؤه معكِ سيدينه ويعرضه للسجن أيضا ، وستعود الطفلة لأمها رغما عنه . هذا طبعا يستلزم أن نصل إلى الأم ومن ثم ما يثبت عملية التزوير بالإضافة لشهادتك تصُبح كل الخيوط في يدنا ونستطيع شنق مجدي بها وإجباره على الاستسلام

.

_ هذا جيد ومقنع ، ولكنك غفلت عن شيء هام جدا ، وهو سلطة مجدي ونفوذه ، يستطيع أن يفعل أي شيء وأن يفسد كل

خطتك هذه ، المال يتحدث بصوت أعلى هنا يا جنرال ، المال هو السيد ومن يملك المال يفوز .

_ سنرى عزيزتي سنرى . لم أخرج ما في جعبتي كله ثقي بي .

نظرت إليه وهي تقول في نفسها " نعم أثق بك ، أنت الوحيد على هذه الأرض الذي اهتم بي ، وتمتلك من الذكاء الكثير ومن الأخلاق ما هو أكثر ، كأبطال الأساطير أنت ، ولكنك نقي لدرجة انك لا ترى حجم التلوث الذي حولك ، ولم تسمع صوت المال حين يتحدث كما سمعته أنا ، ومع هذا سأحاول معك ، لأن رغد طفلتي تستحق أن أفعل من أجلها المستحيل ، وعليَ ان اعيد لها أمها التي حرمتها منها

_ حسنا استاذ صالح اوافق على خطتك .

شعر صالح بارتياح شديد لموافقتها وابتسم مداعبا وهو يقول :

أولا أنا طبيب ولست استاذا

ثانيا : اسمي صالح بدون ألقاب. أنا وانتِ الآن في تشكيل عصابي واحد ، وهدفنا واحد ، ولا مكان للألقاب بين أفراد العصابة

ثم غمز بعينيه فابتسمت هي لدعابته .

مال صالح للأمام وهو يقول بجدية :

_ الآن لنستعرض ما لدينا من معلومات . أريد منكِ تاريخ أخذك للطفلة وتزوير الأوراق ، وأي معلومة أخرى تتذكرينها قلتِ لي في الهاتف أنكِ رأيتِ صورة الأم ، فهل هي معكِ ؟

_ نعم الصورة موجودة في البيت، احتفظت بها لا اعرف لما ، ربما لتذكرني دائما بالجريمة التي قمت بها ، نحن نعشق جلد الذات دون ان ندري

_ ربما هي فطرتنا السليمة التي تجعلنا نفعل هذا حتى لا نتحول بشكل كامل إلى كائنات وحشية ، احتفاظك بالصورة دليل على

ان بداخلك نور رفض أن ينطفئ ويقبل بهذا . ولكن لم تخبريني كيف حصلت عليها ؟

_ وجدتها ضمن أوراق مجدي في مكتبه ، ظننتها عشيقة له واندفعت صارخة في وجهه ، فأخبرني بأنها أمُ رغد وأنه نسي وجود الصورة ضمن اوراقه وإلا كان قد احرقها كما احرق كل ما يخصها في حياته .

_ ربما ليست صورتها وكذب عليكِ وانها صورة عشيقة له فعلا !

_ لا ، عندما اخبرني بأنها أمُ رغد عدت وتأملت الصورة جيدا فوجدت شبهاَ كبيراً بالفعل بينها وبين رغد فتأكدت انها أمُها .

اخبرته انني سأتخلص من الصورة ولكنني احتفظت بها .

حسنا الصورة ربما تكون هي وسيلتنا للوصول الى أمُ رغد ، ولن نكتفي بهذا الخيط ، سنحاول من جهة اخرى ان نصل الى تفاصيل عملية التزوير كما اتفقنا .

_تنهدت سلوى وقالت : متى سنبدأ وانا ما زلت هنا في المستشفى ! أم أنك ستبدأ وحدك ؟

_ بل سنبدأ معا ، ستخرجين غدا ان شاء الله فصحتك أصبحت جيدة والحمد لله ، تحدثت مع طبيبك وأخبرني بهذا .

_ الحمد لله ، هذا رائع

واستلقت سلوى واغمضت عينيها ، وسمعت صالح وهو يقول : اسمحي لي سأذهب الى فيلتك لأطمئن عليها واصلح نافذة المطبخ التي حطمتها ، حتى تعودي اليها غدا وتجدينها كما تركتيها .

فتحت سلوى عينيها ونظرت له بامتنان حقيقي هذه المرة وتمتمت : شكرا لك .

_ العفو ، ولكن اين تضعين مفاتيح البيت ، فلا أظنك قادرة على القفز من فوق السور لتدخليها

ابتسمت سلوى وهي تقول : اتخيلك عندما قفزت لتنقذني ، هل صدقت انك قرد كما اخبرتك في الهاتف

عقد حاجبيه وادعى الغضب ، ثم قال مازحا : نعم انا اصدق كل ما تقولينه

_ المفاتيح ستجدها على الطاولة بجانب الباب في الدرج الذي على اليمين .

_ شكرا لكِ

ثم لوح لها مودعا وهو يقول : سأعود غدا لأعيدك الى بيتك ، لا تذهبي إلى أي مكان بدوني

خرج واغلق الباب وراءه وتركها لتغرق في بحر افكارها من جديد .

عاد صالح إلى الفيلا وفي طريقه إليها حاول الاتصال بزوجته ، وجد هاتفها مغلق ، شعر بالغضب والحزن ، هي لا تريد حتى ان تكلمه هاتفيا ، اتصل برقم ابيها ، رد بعد قليل : السلام عليكم

_ وعليكم السلام ، اهلا بك عمي كيف حالك ؟

_ مرحبا صالح ، الحمد لله انا بخير يا ابني ، كيف حالك انت ؟

الحمد لله بخير يا عمي ، حاولت الاتصال بهناء لكن هاتفها مغلق .

_ هي في حالة مزاجية سيئة ، ستحتاج لبعض الوقت لتهدأ .

_ هل توافق على رحيلها عن المنزل يا عمي ؟ أنت تعلم أنني لم أتعمد اغضابها ، انشغالي في العمل ، كان من أجلها ومن أجل أولادنا

_ نعم أعلم يا ابني ، ولكن النساء عقولهن خفيفة كما تعلم

، الاهتمام بهن هو قضيتهن الأولى .

_ ربما اخطأت في انشغالي الدائم عنها ، ولكن رحيلها خطأ كبير ، كل شيء يمكن إصلاحه ونحن معا .

_ نعم كلامك صحيح ، وانا لم ارض عن تركها منزلها ، ولكن لم أشأ أن تشعر بأنها غير مرحب بها في بيت أبيها ، لهذا آثرت أن أصبر عدة أيام قبل أن اناقشها في هذه المشكلة بهدوء .

_ حسنا ، كما تحب ، سأنتظر عدة ايام اخرى ثم اتصل بك لنتفاهم ولأعرف ما الذي وصلت إليه معها

_ ان شاء الله خير ، لا تقلق

_ ان شاء الله ، سلام عمي

_ سلام

اغلق صالح الهاتف وهو يشعر بالضيق ، يعلم ان هناء عنيدة جدا ، وانها عندما تأخذ قرارا لا تأخذه إلا بعد تفكير طويل ، وهذا هو ما يخيفه .

وصل إلى ڤيلا سلوى ، مازال الباب الخارجي مفتوحا منذ أن فتحه وهو يحمل سلوى ويهرع بها إلى المستشفى ، عبر الباب الخارجي ، وسار حتى وصل إلى باب الڤيلا فوجده مغلقا ، يبدو أنه اغلق وحده بعد أن تركه مفتوحا منذ يومين ، تنهد صالح في ضيق عليه الآن الدوران حول الڤيلا ويدخل من نافذة المطبخ المحطمة كالمرة السابقة ، " إن التاريخ يعيد نفسه " ، ابتسم في سخرية وهو يتذكر تلك العبارة .

عبر الزجاج المكسور بحرص شديد ، ثم وقف في المطبخ ومرّ بخاطره أحداث تلك الليلة العجيبة ، خرج من المطبخ واتجه مباشرة نحو باب الفيلا ليخرج المفاتيح من درج الطاولة ويفتح الباب ويتجه إلى سيارته، استقلها وانطلق بحثا عن ورشة

للزجاج ليأتي بمن يصلح زجاج نافذة المطبخ ، سأل بعض المارة ودلوه على احدى ورش تصنيع الزجاج ، عاد بالعامل معه إلى الڤيلا لأخذ مقاسات الزجاج ، وبعد أخذ المقاسات أخبره العامل بأنه سيعود بعد ساعة ومعه الزجاج لتركيبه ، استغل صالح هذا الوقت في تنظيف الزجاج المكسور من على الأرض ، ثم أعد فنجال قهوة ، وجلس يشربه في هدوء ثم تذكر أنه لم يتصل حتى الآن بالمستشفى التي يعمل بها ليأخذ إجازة ، سبحان الله ! هذه أول مرة ينسى فيها عمله ! أشياء كثيرة حدثت في هذين اليومين ، وأشياء أخرى تحدث داخله .

اتصل بالمستشفى وطلب إجازة لمدة أسبوع لظروف طارئة . أمامه الآن مشكلة أخرى وهي عدم وجود ملابس معه غير التي يرتديها ، عليه أن يشتري بعض الملابس تكفيه لهذا الأسبوع .

بعد دقائق أخرى وصل العامل ومعه الزجاج الجديد ، وقام بتركيبه .

دفع له صالح حساب الزجاج ، ثم قرر أن يذهب لشراء الملابس الجديدة ، كانت نقوده قد قاربت على النفاذ ، فسحب مبلغا من ماكينة الصرف الآلي ليستطيع دفع حساب المستشفى لسلوى وشراء الملابس .

عاد لغرفته في الفندق يحمل ما اشتراه ، ودخل من فوره إلى الحمام ليأخذ دشا دافئا و ليبدل ملابسه التي لم يعد يستطيع تحملها على جسده ، مر ثلاثة أيام وهو لم يبدلها . خرج من الحمام منتعشا ويشعر بالراحة ، طلب طعام العشاء في غرفته ، ثم رقد على السرير وهو يحمل هاتفه ليطمئن على سلوى ، بعد أن اطمئن عليها ، تناول عشاءه ونام .

استيقظ في الصباح وهو يشعر بنشاط وحماس كبيرين ، ارتدى ملابسه على عجل وهرع إلى المستشفى ، أكمل إجراءات

خروج سلوى وصعد إليها فوجدها قد تجهزت للخروج وتجلس في انتظاره ، ألقى إليها بالتحية فحيته بابتسامة ودودة ، فابتسم في حبور وهو يقول :

_ كنت أخشى أن لا أجدك .

ردت بمكر :

_ وأنا كنت أخشى أن تأتي .

_ لم ترغبي في حضوري ؟

_ مشفقة عليك من هذا الدور الذي تلعبه .

_ لا ألعب أدوار ، أنا أحاول مساعدتك

_ ولماذا ؟

_ لو كنتِ مكاني ألم تكوني

لتساعديني ؟

فكرت سلوى لحظة ، ثم قالت : بالتأكيد لا

رفع صالح حاجبيه في دهشة ، ثم خفضهما و أطرق قليلا ثم قال :

_ هل ممكن أن أعرف لماذا ؟

_ لأنني ببساطة امرأة وأنت رجل ونحن في مجتمع لا يتفهم كيف تساعد امرأة رجلا او تصادقه أو حتى تحبه الرجال فقط هم المسموح لهم بهذا

_ تتحدثين بمرارة دائما ، متى ستتوقفين عن هذا ؟

_ عندما تتوقف أنت عن الضغط على جرحي ، حينها سأصمت ولن اتكلم لا بمرارة ولا ببنكرياس

ابتسم صالح وقال:

_ تمتلكين روح دعابة تستحق الاعجاب

_ هذه هي الروح الوحيدة التي امتلكها ،أما روحي الأخرى والمفترض فيها أن تجعلني أشعر بالحياة ، فيبدو أنها سقطت من الجدول .

_ اصنعي لنفسك جدولا جديدا ، وتوقفي عن تصوير كل هذا السواد حولك

_ إذا كنت أصور السواد حولي ، فلماذا تدخل في كادري المظلم ؟ اخرج من الكادر لترى النور

_ أريد أن أراكِ أنتِ في النور

_ ولما ؟

_ لأن القدر أراد أن يجعلنا نلتقي ، لابد أن للقائنا معنى

_ كل من التقوا ثم افترقوا ظنوا أن للقائهم معنى ، انتهى اللقاء ولم يجدوا المعنى .

_ سنرى

_ ستندم

_ سأحاول

_ ستخسر

_ سأفوز

_ سنرى

الفصل الخامس

صوت الحب هو الصوت الوحيد الذي تنصت له جميع حواسنا عندما يبدأ في التحدث ..

عادا إلى الڤيلا ، وبعد أن جلسا قليلا ، توجه صالح للمطبخ ليرى ما في الثلاجة ليعد لهما إفطارا ، وجد بيض وجبن وخيار وزيتون وحليب .

قال بصوت عالي لكي تسمعه :

_ لديكِ كل هذه النعم في الثلاجة وتريدين الموت ؟

ابتسمت هي ولم ترد .

عاد بعد ربع ساعة وهو يقول :

_ الافطار جاهز مولاتي ، فهلا تفضلتِ إلى المطبخ لتلتهميه

نهضت في وقار وسارت في اتجاه المطبخ حتى مرت به

ونظرت له بغضب وقالت :

_ التهمك أسد جائع سيدي اللورد .

انفجر صالح في الضحك ، فضحكت هي أيضا واتجها معا

لالتهام الإفطار .

كان البيض معداً بطريقة سيئة ، فاكتفت بالجبن والزيتون

وكوب الحليب .

وقالت له :

_ في المرة القادمة سأعد أنا البيض .

فقال بشيء من المسكنة :

_ وماذا سأفعل أنا سيدتي ؟

قالت بخبث :

_ ممكن أن تبيض .

ضحك وهو يقوم من على المائدة ويبدأ في إعداد القهوة ، لا أعرف كيف أبيض ولكن أعرف كيف أفقس السلبيين قالت بغضب :

_لست سلبية .

عقد ذراعيه وقال باستفزاز مقصود :

_وماذا تكونين إذا ؟

لم تجبه ، ونهضت بعصبية واتجهت إلى باب المطبخ وخرجت منه وهو يتبعها بنظره .

جلس يشرب قهوته وهو يفكر بها ، وبعد خمس دقائق وجدها تدخل المطبخ وتضع أمامه على المائدة رزمة من النقود رفع نظره إليها متسائلا ، فقالت:

_هذا هو المبلغ الذي دفعته في المستشفى مقابل تكاليف علاجي ، أنا سألت قبل أن تأتي اليوم وعرفت أن فاتورة المستشفى ثلاثة آلاف جنيه و ها هم .

وأشارت إلى النقود على الطاولة . نهض بهدوء ودار حولها دون أن يلتفت إلى النقود ، وخرج من المطبخ ، تبعته وهي تقول :

_لماذا لم تأخذ النقود ؟

_ لأنني لا أريدها

_ ولكنها نقودك

_ هل طلبتِ مني أن اذهب بكِ إلى المستشفى ؟

_ لا

_ إذا فهذه النقود ليست ملكي

قالت بغضب :

_ عفوا ولكن لا اقتنع بهذا العبث ، هذه نقودك وعليك أن تأخذها .

ثم أردفت بصوت هادئ :

_ يكفي أنك تكبدت مشقة بالغة للوصول إلىَ و إنقاذ حياتي

وأهملت عملك وتناسيت مشكلتك من أجلي، أرجوك خذ النقود لأشعر ببعض الراحة

_ حسنا سآخذهم ، ولكن ليس الآن ، احتفظي بهم ، وعندما ينفد ما معي من نقود سأطلبهم أنا منكِ .

_ حسنا اتفقنا .

_ والآن اذهبي إلى غرفتك لترتاحي ، وعصرا سآتي إليكِ لنبدأ خطتنا

_ أين ستذهب ؟

_ للفندق

_ تستطيع البقاء هنا ، لا حاجة بك للذهاب والعودة ، سأذهب لغرفتي وأمامك ثلاثة غرف أخرى اختر منها ما شئت لم تمهله فرصة ليرد وتركته وصعدت إلى غرفتها

.

خرج إلى سيارته وأحضر منها جهاز اللاب توب ثم عاد

إلى الڤيلا ، فتح موقع جوجل وكتب في الباحث :

" مجدي عادل رجل الأعمال المصري " ، وأخذ يقرأ كل المعلومات المتاحة التي أظهرها الباحث .

بداياته ، مشروعاته ، حفلات حضرها ، تبرعاته ، لقاءات تليفزيونية .

لا يوجد شيء واضح عن حياته الشخصية ، معلومات قليلة جدا هي التي حصل عليها

ولكن ما لفت نظره هو أن له سمعة جيدة واحترام لعقليته التجارية والاقتصادية

كم تبدو بعض الوجوه خادعة وتظهر على غير حقيقتها!

بعد ساعتين من البحث والقراءة

لم يستطع التوصل فيهما إلى شيء ذا أهمية بالنسبة لخطتهم ، فأعاد ظهره للوراء وأغمض عينيه

واستغرق في تفكير عميق ، ثم شعر بصوت بجانبه ، ففتح عينيه وجد سلوى بجواره تنظر إلى ما يظهر على الشاشة

_ أهلا سلوى

_ أهلا صالح ، هل وجدت شيئا ؟

_ لا لم أجد ، أين صورة زوجته الأولى ؟

_ سأحضرها لك ، ولكن ماذا ستفعل بها ؟

_ احضريها ثم أخبرك ، هل تعرفين رقم مطعم ما لنطلب طعام الغداء ، أم تجازفين بحياتك وتتركينني أعد لنا طبقا شهيا من السباجتي والدجاج ؟

_ في واقع الأمر حياتي لا تهمني ، ولكن أمعائي لن تسامحني إذا عاملتها بهذه القسوة ، لهذا أفضل أن نطلب الطعام اليوم ، وغدا سأقوم أنا بالطهي .

_هذا قرار صائب ، خشيت أن تكوني متهورة للحد الذي توافقين فيه على أن اطهو لكِ

اعطني رقم المطعم واخبريني ماذا تريدين على الغداء

_ سأتصل أنا به بعد أن آتيك بالصورة ، سأطلب دجاج مشوي وبعض السلطات

_ جيد

دلفت سلوى إلى حجرة المكتب ثم عادت بعد قليل وهي تحمل في يدها صورة تركتها بجوار اللاب توب

ثم صعدت إلى غرفتها لتأتي بهاتفها لتتصل بالمطعم .

تأمل صالح الصورة ، جميلة كما قالت سلوى ، في العشرينات تقريبا

عادت سلوى وقالت وهي تجلس بجواره :

_جميلة أليست كذلك؟

_ نعم ، ولكنها أصغر مما ظننت

_ هذه صورة قديمة لها ، هي الآن في الثلاثينات بالتأكيد

_ معكِ حق ، حسنا لنبدأ البحث

_ هل ستبحث عن الصورة في موقع جوجل للصور

images. Google.com

_ نعم ولكن علينا أولا أن نقوم بتحميل الصورة باستخدام الماسح الضوئي (السكانر) . لتكون على الجهاز ثم نستطيع البحث عنها في جوجل لعلنا نصل لأي معلومة

هل لديكِ سكانر ؟

نعم في المكتب ملحق بالكمبيوتر

اتجها معا إلى غرفة المكتب وصالح يحمل الصورة .

قالت سلوى وهي تنظر لصالح و هو يفتح الجهاز .

_ ولكن ليس من المؤكد أن يكون في النت معلومات عنها .

ليست فنانة أو سياسية ليتم نشر صورها ، كما أن مجدي لا يحب أن يعرف أحد شيئا عن حياته الخاصة

وزيجاته ، لهذا حياته الخاصة دائما غامضة للجميع ، لن تجد مثلا صورا لي على الإنترنت بوصفي زوجته أو بأي وصف

_ ولكني وجدت صورة لكما في صفحتك على الفايسبوك !

نعم هذه الصورة الوحيدة التي نشرتها في صفحتي بعد أن حضرنا زواج ابن أحد أصدقائه ، ولكن لأنني أعلم أنه لا يحب نشر صوري فلم أنشر غيرها وغيرتها بعد فترة بسيطة . وطوال زواجنا لم أذهب معه في حفلة عامة إلا هذه الحفلة فقط .

_ غريب أن يكون رجل أعمال هكذا ! العلاقات الاجتماعية والظهور في المناسبات مهم لهذه الفئة من الناس من أجل صفقاتهم وعلاقاتهم البيزنسية .

_ مجدي مليء بالأسرار ، لم أستطع فهمه أبدا

ثم تذكرت أن صالح قد قابله ، فنظرت له بفضول وقالت :

_كيف كانت مقابلتك له وانطباعك عنه ؟ وكيف قبل أن يحادثك عني بهذه البساطة ؟

_ مقابلتنا كانت سيئة جدا ، حدثته بغضب مكتوم وحدثني هو بغموض ، كان هادئا جدا رفض في البداية

إعطائي عنوانك أو مساعدتي لكنني هددته بالذهاب إلى الشرطة وابلاغهم بأنه هو من قتلك ، باعتبار طبعا أن عجزي عن الوصول إليكِ معناه موتك

هذا التهديد فقط على الأرجح هو الذي جعله يكتب لي عنوانك في ورقة ، تركها دون اهتمام وقام ليكمل عشاءه .

_ أعلم أنه حقير ، كما أنه يخشى على سمعته واسمه كثيرا ، هذا من أحد الأسباب التي جعلته يخفي حياته الخاصة عن الإعلام وأيضا عدم الإشهار بزوجته الأولى عندما اكتشف خيانتها ،

أظن أنها لو رفضت التنازل عن رغد لم يكن سيشهر بها أو يفضحها ، لأنه بهذه الطريقة يفضح نفسه أيضا ويجعل حياته الشخصية محطا للأنظار وهو ما يكرهه بشدة ، لو تحدته وتماسكت أمامه ورفضت التخلي عن رغد ، لكانت فازت بها .

نظر لها صالح بدهشة وقال :

_طالما أنكِ تعرفين هذا عنه

فلماذا لم تتمسكي أنتِ بالطفلة عندما هددك بأنه سيكشف

التزوير ويخبر رغد بأنك لستِ أمها!!

نظرت له سلوى نظرة حائرة ، بالفعل لم يكن مجدي ليفعل

شيئا خوفا من الفضيحة ونشر مشاكله على الملأ .

ولكنه ربما كان سيؤذيها بطريقة أخرى ، نعم إن عينيه

بهما نظرة مخيفة عندما يغضب ، أكثر ما كان يخيفها منه في كل شجار لهما هي نظرة عينيه .

قال صالح ليكسر هذا الصمت :

_ لنترك هذا الآن ولنهتم بالبحث عن الصورة ولندعو الله أن نجد عنها أي بيانات .

ما نخفيه لا يموت ولا يتركنا ، هو فقط يكمن متحفزا في انتظار اللحظة المناسبة للانقضاض .

بدأ صالح في مسح الصورة ضوئيا ثم حفظها وبدأ في البحث عنها في جوجل .

ولحسن الحظ ظهر عدد من النتائج لنفس الصورة ولكن ليس بوصفها زوجة مجدي عادل رجل الأعمال ، بل بوصفها مفقودة !!

تلاقت نظرات صالح وسلوى في دهشة تشبه الصدمة ولم يستطيعا قول أي شيء للحظات ، ثم بدأ صالح في قراءة الخبر الذي تناقلته بعض المواقع الاخبارية والصحف " اختفاء امرأة وابنتها في ظروف غامضة ، بعد عودتهما من زيارة أحد أقربائهما في المستشفى ، تحريات الشرطة تؤكد أن الأم والتي تدعى نور محمد القناوي وابنتها ذهبا بالفعل لزيارة عم الأم وجلسا بصحبته حوالي الساعة ، ثم خرجا من المستشفى ولكن لم يعودا

إلى البيت حتى الآن!

قامت أسرة المرأة بالإبلاغ عن اختفائها ولم تتهم أحدا ولكنهم ذكروا أن

المرأة زوجة لرجل أعمال ولكن لم يتم الكشف عن اسمه .

تكثف الشرطة البحث عنها هي وطفلتها البالغة من العمر عام واحد تقريبا ، ولكن وحتى تلك اللحظة لم يتوصلوا إلى أي نتيجة أو معلومات تميط اللثام عن هذا الاختفاء الغامض "

قال صالح بعد أن أتم قراءة الخبر :

_الأمور تزداد غرابة

أليس كذلك ؟!

ولكن سلوى لم تجيبه ، كان ذهنها كبحر هائج تتلاطم فيه كل الأفكار .

لم يخرجها من أفكارها إلا صوت جرس الباب .

اتجهت إلى الباب وفتحته فوجدت عامل التوصيل

قد أتى بالطعام الذي طلبته ، طلبت منه

الانتظار لحظة ودخلت وأتت بالنقود ودفعت له الحساب ثم

أغلقت الباب وحملت الطعام إلى المطبخ لتحضيره

ومازالت الأفكار في رأسها تتصارع .

علمت الآن أن مجدى هو السر الغامض وراء اختفاء نور ،

لأنه أتى برغد إليها ، والخبر يقول أن رغد كانت مع

أمها .

إذا مجدي أخذ رغد من أمها ، ولكن أين ذهبت بعد هذا ؟

هل هربت أم .. ؟ ظل هذا السؤال كالمطرقة يدق رأسها

بقوة.

لحق بها صالح ووقف ينظر إليها وهي تخرج الطعام من

أكياسه وتضعه في أطباق وذهنها شارد بشكل واضح .

_ أعلم ما تفكرين به ، وأنا أيضا أظن هذا

انتبهت لوجوده والتفتت إليه ونظرت في عينيه تحاول أن تسبر أغواره وتعرف هل حقا يفكر مثلها ، وقبل أن تسأله أردف :

_ولكن لا يجب أن نتسرع في الاستنتاج وافتراض الوقائع ، هذا ممكن أن يضللنا ولا يجعلنا نصل لشيء ، أولا يجب أن نصل إلى أهلها ونحاول أن نفهم بعض التفاصيل وفي ضوء هذا نبدأ في السير قدما في مهمتنا .

فكرت سلوى في ما قاله صالح ، واتفقت معه فيه ، ولكن ...

أخرجت أفكارها بصوت مسموع :

_ لو مجدي فعل ما نظن انه فعله فهذا معناه أن اللعبة التي تريدنا أن نلعبها معه خطرة جدا ، لن يسمح لنا بالتلاعب به أو كشف ما أخفاه ، ولن أقبل أن أعرضك لأي خطر ، يكفي ما فعلته من

أجلي ، فلنتوقف هنا ، وعد إلى بيتك وحاول انقاذ زواجك فهو ما يستحق اهتمامك وتضحيتك ، وليس امرأة غريبة لا تعرفها ولم يجمعك بها سوى مكالمة هاتف ليس لها معنى .

قال بهدوء :

_ هل حقا ليس لها معنى ، وهل أنتِ غريبة ؟

قالت بعصبية :

_ نعم ، معرفة ساعات لا يمكن أن تجعل منها قصة أو ترسم لها هدف أو تخرج منها بنتيجة .

اقترب منها وهو ينظر في عينيها مباشرة :

_ إن كنتِ ترينني غريبا عنكِ ، فإن عيني تراكِ وكأنها تعرفك منذ ألف عام .

فاجأها كلامه ، شعرت وكأن الأرض تحتها تهتز و كل

شيء حولها يدور، تتطاير المقاعد تتخبط الأطباق ، تصطك الملاعق ، تتعانق الأكواب ، تسيل مياه الصنبور لأعلى ، ينضم قلبها لتلك الحفلة الصاخبة فيبدأ في عزف نغمته الخاصة ، ويدق ويدق ويدق وتبدأ أنفاسها في

الرقص على دقاته ، يزيد الدق فتزيد هي من رقصتها ، حتى تشعر بأنها ما عادت قادرة على التنفس ، أنها تختنق وكل الأشياء حولها تبارك اختناقها وتصفق له بقوة ...

فتحت فمها لتقول شيئا ، هي تعلم أنها لابد أن تقول شيئا ولكنها لا تجد صوتها ، أين ذهب هذا المجنون ! كيف يتخلى عنها وهي بحاجة إليه ، بحاجة لأن تقول لا ، لا لهذا الشعور و لا لتلك الألفة ولا لتلك المشاعر المتسللة التي بدأت في القفز بينهما كطفل فرح باجتماع شمل أبويه بعد طول فراق . ولا لهذا الكائن العجيب الذي ظهر لها فجأة

كحصان طروادة ليهاجم قلاعها وحصونها ويهزم فيها هزيمتها واستسلامها ويحولهما إلى انتصار وتحدي

واصرار على الفعل وتحديد هدف والسعي إليه . هذا ما كانت تفتقده ، وجعلها تصل إلى مرحلة الانهيار وحافة السقوط ، أن يكون لها هدف ، هو في حد ذاته رغبة في الحياة ، تشبث بالبقاء فيها والدخول معها في معركة وجود ، القى إليها بطوق نجاة حين حدد لها هدفا عليها أن تحققه.

أن تنقذ حياة رغد ، أن تعيدها لأمها الحقيقية لتنعم بهذا الدفء الذي وهبه لها الله وسلبته هي منها ، نعم كانت أنانية جدا في هذا ، لم يكن هدفها إسعاد رغد بقدر ما كان هدفها هو إسعاد نفسها ورأب صدعها وتحقيق اكتمالها .

فجأة .. أخرجها ماس كهربائي من أفكارها ، صاعقة اصابت يدها عندما وضع صالح يده عليها ، سحبت يدها سريعا وهي

تتراجع للوراء وفي عينيها نظرة استغاثة ، تستغيث بإرادتها برفضها بعذابها بين قبيلة الذكور وقطعانها ،

ولكن لا أحد الآن يستجيب لها ، كلهم تحولوا لمتفرجين ، ينتظرون لحظة سقوطها ليسخروا منها وليصفقوا لهذا الساحر لمهارته في استخدام يديه وكلماته ونظراته ، وكل ما استخدمه في سحرها وسلبها صوتها وإرادتها وقدرتها على الهرب .

وآتاها صوته وكأنه يأتيها من على بعدُ آلاف الأمتار :

_ أنا آسف ، لم أقصد أن أضايقك ، غلبتني مشاعري للحظات .

أعادها صوته الآسف إلى الواقع ، إلى بعض قوتها فابتلعت ريقها وقالت بصوت هامس في محاولة منها لاسترداد ما تبقى من قوتها المسلوبة :

_ هيا نأكل قبل أن يبرد الطعام .

استجاب لهروبها وجلس إلى المائدة ، وجلست هي وبدئا في تناول الطعام في صمت ، وكلا منهما بداخله معركة كاملة بجيوشها وأسلحتها وعتادها ولن تخلو تلك المعركة في نهايتها من الضحايا ، وهذا هو ما كان يخيفهما .

انتهيا من الطعام وقامت سلوى لتجمع الأطباق لتغسلها ، اوقفها صالح وهو يقول في حزم :

_ اتركي كل شيء

واصعدي لترتاحي ، لا تنسي أنكِ ما زلتِ في طور النقاهة .

ردت مازحة :

_ ظننت أنني في طور سيناء لم أكن أعرف أنني في طور النقاهة .

ابتسم لدعابتها وأشار لها بإصبعه محذرا :

_ حذاري من

استفزازي أيتها الطفلة الكبيرة

ابتسمت عندما تذكرت أنها خاطبته من قبل بهذا اللقب

على الهاتف حين قالت له " أيها الطفل الكبير "

تريد الآن أن تكمل هذه العبارة وتقول " أيها الطفل الكبير

الرائع " ولكنها اكتفت بالابتسام وانسحبت في هدوء

وصعدت إلى غرفتها وهي تقول سأرتاح ساعة واحدة ثم

أعود ، لا تنصرف

رد بسعادة :

_سأنتظرك .

صعدت بتؤدة إلى غرفتها ، تشعر بالإرهاق حقا ولكن

حيرتها أشد ، لا تعرف كيف ترتب كل تلك الفوضى

داخلها وحولها، عليها الآن أن تركز في الهدف الذي

أجلت انتحارها من أجله ، لا تريد أن تشتت نفسها وتتعلق

بحبال ذائبة ومشاعر غير منطقية ، ما حاجة الموتى للحب ؟

الحب!! ..

شعرت برجفة عندما رددت كلمة الحب . تبا لهذا الصالح يمنعها من قتل نفسها ليقتلها هو...

دخلت إلى الحمام لتأخذ دشا دافئا لعلها تهدأ وترتب تلك الأفكار اللعينة التي تنهش سكينتها نهشا . فلتحاول أن تنسى صالح الآن وتركز في مجدي وما قاله لها عن نور والدة رغد ، عصرت ذهنها لتتذكر تلك الليلة التي وصل فيها إلى البيت وهو يحمل رغد بين ذراعيه ويخبرها بما فعلته أمها وبعزمه على حرمانها منها وقراره بأن يجعلها هي أمُ رغد ، كان الموقف رهيبا بكل معنى الكلمة ، أن تكون أمًا لطفلة لم تنجبها ولم تحملها بين احشائها ، بل إمرأة اخرى هي التي فعلت ، وعليها الآن أن تأخذ مكانها .. ! ضميرها كان يقرعها بكل الكلمات القاسية ، من أنانية إلى لصة إلى ظالمة .

ولكن نفسها التي تموت شوقا كل يوم إلى طفل ، وروحها التي تعلقت برغد فور أن رأتها ، كيانها كامرأة يستصرخها لتساعده لكي يكتمل ، وزوجها وكلامه ومحاولته لإقناعها بالموافقة وهو يروي لها كيف خانته وجرحته ولم تحترمه وأنها بلا قلب ، لا تفكر إلا في نفسها ، أهملت طفلتها وذهبت لتعبث مع شاب ساقط مثلها .

تكلم كثيرا و انصتت له لأنها تريد أن تنصت ، تريده أن يقنعها ، أن يعطيها عصابة لتعصب بها عينيها ، وكمامة لتكمم ضميرها ، ومبرر يقنع عقلها ويمنحها الرضا التام لتنال السلام الداخلي وتستريح .

ورضت ووافقت وأصبحت رغد ابنتها . هكذا نرتكب الأخطاء ونرضى بها بعد أن نقنع أنفسنا بأننا لم نفعل سوى الصواب .

تلك الليلة ربما كانت هي آخر ليلة في عُمر نور ، اختفاء نور لم يأتي بعد فترة من تنازلها عن ابنتها ، بل حدث في نفس الليلة ، لأن الخبر على النت يقول أنها وابنتها كانا معا واختفيا معا .

بالتأكيد خدعها مجدي حين أوهمها أن نور تخلت عن ابنتها خوفا من الفضيحة .

حتى خيانة نور لمجدي أصبحت تشك فيها الآن ، ربما كل ما قاله مجدي كذب فيه ، وربما بعضه فقط صحيح .

ماذا عليها أن تفعل الآن !! هذا هو السؤال المحير . خرجت سلوى من الحمام ، جففت جسدها وارتدت بنطالا مريحا باللون الأزرق وتي شيرت ذي ألوان متداخلة وهادئة .

صففت شعرها وعقصته للخلف بطريقة جذابة جعلت وجهها أكثر إشراقا .

ثم جلست على حافة السرير تفكر في صالح الذي يجلس في الطابق السفلي ، كيف تتصرف معه !! مجرد التفكير فيه يجعل قلبها يدق بسرعة .

وجوده معها خطر على كليهما .

قامت وقد حسمت أمرها ، ستطلب منه الرحيل ، ستنهي حلقات كونان هذه ، لا تحقيقات ولا مباحثات ثنائية ولا محاولات أخرى لإنقاذ العالم ، عليه ان يعود لزوجته وأطفاله وعمله ، ولينسى سلوى ومشاكلها وهذه الدوامة التي تعيش فيها .

نزلت السلم ودلفت إلى المطبخ ولكنها لم تجده ، ووجدت المطبخ نظيفا ومرتبا ، والأطباق تم غسلها وإعادتها لأماكنها ، خرجت من المطبخ بحثا عنه فلم تجده في الصالون أو الشرفة والقت نظرة خارجا فربما يكون جالسا في الحديقة ولكن لا أثر له .. !

جلست على أقرب مقعد لها وإحساس بالضيق يملأ

صدرها ، " لماذا رحل ؟!!

ولماذا أشعر بالضيق لرحيله ؟ ألم أنوي أن أطلب منه

الرحيل!!

ربما قرأ أفكاري فسبقني إلى ما كنت سأطلبه منه ، وربما

سأم تلك المتاهة . "

انتبهت من أفكارها على صوت خطوات تقترب ، وصوت

حنون يقول :

_ جيد أنكِ استيقظتِ . كيف حالك الآن ؟

شعرت بفرحة ظهرت في ملامحها وعينيها رغما عنها ،

وقالت وهي تحاول اخفاء هذه الفرحة برسم بعض الجدية في

صوتها :

_الحمد لله بخير .

ولكن بدون تفكير وجدت نفسها تسأله :

_ أين كنت ؟

_ كنت أصلي في غرفة المكتب

_ تصلي !!

ابتسم وهو يقول :

_ نعم ، في الحقيقة أنا أصلي أحيانا ، لست مواظبا على الصلاة ، ولكن كلما شعرت بحيرة وبحاجة إلى من هو أكبر مني لجأت إلى الله .

والآن أشعر بحاجتي إليه كثيرا

_ أنا أيضا لست مواظبة على الصلاة ، ربما هذا هو سبب مشاكلنا كلها .

_ ماذا تعني ؟

_ أعني أن بعدنا عن الله ربما هو ما يجعلنا بهذه الهشاشة والسوداوية

_ اتفق معكِ ، عندما نصلي ونقترب من الله نشعر بسكينة

وهدوء وأهم شيء تجعلنا نشعر بأننا لسنا بمفردنا في هذا العالم ، هناك قوة أكبر منـا معنا وتحمينا وتستمع إلينا إن احتجنا إلى ما نبوح به .

_ وما الذي بحت به إلى الله ؟

_ الكثير والذي لا يقاُل إلا له

أطرقت سلوى وهي تفكر ، ما أحوجها إلى هذا البوح وهذه السكينة ..

_ ما بكِ ؟

رفعت رأسها وقالت مازحة :

_أنتظر جملتك القادمة

بضرورة أن أصلي أنا أيضا ، لأنني لو كنت أصلي ما كنت حاولت الانتحار ولا فكرت فيه .

_ لا أجيد القاء الخطب والمواعظ ، ولا اظنك بحاجة إلى أي منهما ، أراكِ تصلين إلى الحقائق والنتائج وتضعين

النقاط فوق الحروف بشكل رائع . لستِ بحاجة إلى أن

يشرح أحد لكِ شيئا ، تحتاجين فقط لبعض الارادة

_ أظن هذا أيضا

_ جميل ، اذهبِ إذا لتصلي

وابتسم ابتسامته العذبة

بادلته الابتسامة وقالت وهي تعقد يديها على صدرها في

تحدي:

_ آلم تقل أنك لا تجيد الخطب والمواعظ وأنك لن تطلب مني

شيئا لأنني أعرف كل شيء ؟

عقد ذراعيه مثلها ونظر في عينيها في تحدي طفولي

_ أولا لا أحد يعرف كل شيء ، ولكن تعرفين الصواب

من الخطأ ، هذا لأنك تمتلكين الوعي الكافي والفطرة

السليمة ، ثانيا : قلت أنكِ تحتاجين فقط للإرادة وهذا ما

أفعله الآن

أعطي لكِ دفعة لتسيري للأمام

قالت بتهكم :

_هذا باعتبار أنني سيارة معطلة على جانب الطريق .

_ لم أقل أنكِ سيارة ، ولا تصلحين أن تكوني سيارة

ثم قال مازحا :

ولكن ممكن أن تكوني توكتوك

وانفجر بالضحك وهي تنظر له بغضب ، ثم لم تتمالك

نفسها وضحكت هي أيضا .

لحظات من الضحك ومن الراحة ومن الانسجام المحبب

لحظات من القرب والفهم والأمان المرغوب .

أرواحنا تتلاقى ، تأنس وتتعانق ، هذا العناق هو الذي يتم

ترجمته في صورة إحساس بالقرب والدفء والألفُة .

قامت من مقعدها ، فسألها :

_إلى أين ؟

قالت في هدوء :

_سأصلي .

اتجه صالح إلى النافذة ، ينظر منها إلى الحديقة ، جميلة وزاهية ، يتم الاعتناء بها جيدا ، غريب أن تمتلك سلوى هذه الحديقة الرائعة وتشعر بالاكتئاب ، ولكن ربما لا تراها من الأصل لأن احزانها أصبحت كنظارة سوداء تحجب عنها كل جميل في الحياة .

تنهد بحزن عندما تذكر زوجته وأطفاله ، كم نحن أغبياء عندما نظن أننا نملك الحقيقة كاملة وأن كل ما نفعله صحيح .

ظل صالح في أفكاره يتقلب فيها ذات اليمين وذات الشمال ولكن بداخله هدوء وسكينة وإحساس كبير بالأمل . عادت سلوى بعد نصف ساعة تقريبا ، التفت إليها صالح

ولكن لم يرد أن يشير إلى تأخرها ، أعجبه أن تقضي هذا

الوقت مع الله ، فهذا يجعله مطمئنا عليها أكثر .

_ تقبل الله

_ منآ ومنكم

_ حسنا علينا أن نضع خطة تحرك للمرحلة القادمة

قالت في جدية مصطنعة :

_ نعم سيدي الجنرال فلنفعل

_ تاريخ اختفاء نور معنا ، نستطيع أن نصل إلى محضر الاختفاء والتحريات ومنه نصل إلى كل المعلومات التي نريدها .

_ وكيف سنصل إلى المحضر ؟

_ كما قلتِ المال هو السيد .

البلاغ تم تقديمه في قسم النزهة كما هو مكتوب في الخبر ، بحثت عن عنوان هذا القسم فوجدته في

شارع عبد العزيز فهمي ميدان هليوبوليس بمصر الجديدة

.

نظر صالح في ساعته وهو يقول :

الساعة الآن السادسة مساء ، لن استطيع أن اذهب لتأخر الوقت

. غدا في الصباح سأذهب وأحاول أن أحصل على صورة من

المحضر .

_ سأذهب معك .

_ لا ، انتظريني هنا ، لا تنسي أنكِ خرجتِ اليوم فقط من

المستشفى ، لن اسمح لكِ بإرهاق نفسك بأي شكل ، كما أنه لا

بد أن تتعافى سريعا ، فالخطوات

القادمة تحتاج إلى كل قوتك ، لهذا عليكِ أن تستريحي اليوم

وغدا على الأقل .

_ حسنا سأفعل ، ولكن عليك أن تكون على اتصال

دائم بي وتبلغني بكل شيء

_ بالتأكيد

_ اتفقنا إذا .

وقفا لبرهه لا يجدان ما يقولانه . فتنحنح صالح ثم استأذن للانصراف واخبرها أنه سيعود غدا ليطلعها على ما وصل إليه .

في الصباح استقل صالح سيارته وقبل أن يتجه إلى قسم النزهة ، جاءته فكرة أخرى ، فغير اتجاهه وسأل عن مقر المحكمة ووصل إليها ، هو يعلم أنه يوجد ما يسمى بالكاتب العمومي في كل مصلحة حكومية أو ما كان يعرُف باسم (العرضحال) مهمته كتابة الشكاوي وتجهيز الأوراق الكثيرة والمعقدة التي تحتاجها البيروقراطية الحكومية لمن لا يجيدون القراءة والكتابة أو يفهمون تلك التعقيدات كما أنه

يقوم ببعض الإجراءات التي لا يعرف الناس كيفية إجرائها .

وهذا هو الشخص الذي يريده والذي

يستطيع مساعدته في الحصول على صورة من

المحضر ، بالفعل وجد كاتبا عموميا يجلس أمام

المحكمة وتحديدا بجوار الشهر العقاري الملحق بها ، توجه

إليه ، وقال له أنه يريده أن يساعده في

الحصول على بلاغ و محضر تحريات شرطة قديم

بتاريخ شهر مايو عام ٢٠١٠ اخبره الكاتب أن هذا

صعب لمرور فترة طويلة ، ولكن بمجرد أن قال له صالح أنه

سيعطيه أي مبلغ يطلبه ، وافق على الفور وطلب منه أن يمهله

يومين لإحضار المطلوب . لم

يكن لدى صالح الصبر ولا الوقت للانتظار ، لهذا

قال للكاتب :

_أحضره لي اليوم وسأعطيك ألف جنيه

قال الكاتب فلتجعلهم ألفين و سآتيك به بعد ساعة واحدة

يعلم صالح أنه يتعرض للاستغلال بشكل كبير

فإحضار صورة من محضر قديم لا يستحق هذا

المبلغ ، ولكن رغبته في الإسراع بالأمور خوفا من حصول

أي انتكاسة لسلوى وعودتها للاكتئاب جعله يوافق .

طلب منه الكاتب كتابة التاريخ واسم المفقودة واسم القسم الذي

تم عمل المحضر فيه ، ثم طلب من صالح العودة بعد ساعتين

واخبره أنه لا يستطيع إحضاره

في أقل من هذا الوقت . ذهب صالح للجلوس في

أحد المقاهي انتظارا لمرور الساعتين ، جلس

وحيدا في ركن المقهى طلب كوبا من الشاي بالنعناع

الأخضر ثم اخرج هاتفه واتصل بسلوى ليطمئن

عليها ، واخبرها بما فعله ، طلبت منه الا يتصرف

وحده بعد أن يحصل على المحضر وأن يعود إليها ليتناقشا في خطوتيهما القادمة ، وعدها بذلك وطلب منها أن تعتني بنفسها وأنهى الاتصال وغرق في

أفكاره .

مرت الساعتان ببطء شديد ولكنهما مرا على أي حال ، عاد مسرعا إلى الكاتب العمومي الذي اتفق معه على إحضار المحضر ، وجده جالسا في مكانه المعتاد يكتب شيئا لأحد الرجال ، اقترب منه صالح وسأله بلهفه عن المحضر ، رفع رأسه إليه وقال :

_المحضر في طريقه إلى هنا ، جهز نقودك وانتظر قليلا .

فرح صالح ووقف بالانتظار ، بعد حوالي نصف ساعة اخرى رأى رجلا يحمل ملفا صغيرا في يده ويعطيه للكاتب العمومي الذي أشار إلى صالح

بالاقتراب وقال له المحضر معي أين ما اتفقنا عليه ؟ أخرج صالح من جيبه ألفين من الجنيهات قام بعدها أمام الكاتب وقدمها إليه أخذ الكاتب النقود وسلم

صالح المحضر ، انطلق صالح إلى سيارته ومعه المحضر وهو يشعر بسعادة وبأن كل الامور ستسير كما يريد إن شاء الله .

جلس داخل سيارته يتفحص المحضر وجد اسم والد نور وهو مقدم البلاغ وشهادة اخيها بأنه قام بتوصيلها إلى المستشفى لزيارة عمها ، وشهادة عمها بأنها مكثت عنده حوالي ساعة ثم انصرفت ومعها ابنتها .

التحريات لم تسفر عن شيء ولم يعرف أحد أين ذهبت نور وابنتها وأين اختفيا! .. بعد أن قرأ صالح البلاغ ومحضر التحريات أشعل محرك سيارته

واتجه إلى سلوى .

وصل إلى بيتها وخرج من سيارته حاملا الملف وضغط جرس الباب ، فتحت سلوى ، ابتسم لها صالح

ولكنها لم تبتسم وشعر في عينيها بشيء من القلق والخوف

سألها :

_ما بكِ ؟

قالت باضطراب :

_مجدي اتصل بي ، عرف أنك وصلت إلى المحضر سألني عنك وقال بشيء من الغموض أن ما نفعله سيضرنا كثيرا .

_ وكيف عرف بأنني قد صورت المحضر؟

_ بالتأكيد شخص ما اتصل به من القسم وأبلغه أن هناك من يطلب محضر اختفاء زوجته القديم فطلب منه مراقبته فورا فتتبعه حتى وصل إليك وهو يسلمك المحضر ورآك فأبلغه

هاتفيا بمواصفاتك ومجدي يعرفك ويتذكر ملامحك منذ قابلك

في الفندق ، فذاكرته قوية جدا .

فكر صالح في كلامها ووجده معقولا .

نظرت سلوى إلى صالح بحيرة : ماذا سنفعل ؟

قال بثقة : سنكمل ما بدأناه طبعا

_ أنت لا تفهم ، مجدي لن يتركنا نكشف جريمته ، ولن يتورع

عن ارتكاب جريمة جديدة .

_ نعم أعلم ، ولكن هل هذا يخيفك ؟ اخترتِ الموت من قبل

فما الذي يخيفك الآن ؟

_ لست خائفة على نفسي ، الحياة لم تعد تعنيني بشيء.

ولكنني أخشى عليك أنت ، ما ذنبك لتتحمل اخطائي واخطاء

طليقي و تضحي بحياتك من أجل

مجرمين مثلنا ؟

_ لا تقولي هذا ، لستِ مجرمة ، وانا لست قديسا

القدر جمع بيننا ، ولا أحد يستطيع معاندة القدر

ثم نظر في عينيها ونظرة حب كبيرة تملأ عينيه :

_ولكنني سعيدا جدا بخوفك علي .

اضطربت سلوى ، وهربت الكلمات من على لسانها والدم من اوردتها .

وحاولت ان تتماسك بكسر تلك اللحظة

الحميمية بتغيير الموضوع فوجهت نظرها إلى الملف الذي بيده وقالت :

_ماذا وجدت فيه ؟

فهم أنها تحاول الهرب ، ولم يشأ أن يضغط عليها

وجاراها في هروبها وأخبرها بملخص سريع لكل

المعلومات التي حصل عليها ومن ضمنها عنوان والد نور . ثم أردف بأنه سيذهب لزيارته والكلام معه .

_ سأذهب معك

_ لا طبعا ، ما زلتِ مرهقة كما أنه بعد تهديد مجدي علينا أن نتحرك بحذر ، ولهذا سأتحرك وحدي

_ مجدي ليس سهلا لتخدعه ، له عيون في كل مكان ، عرف أنك حصلت على المحضر وخمن أننا نبحث وراء ماضيه وسيعرف بأي حركة أخرى تقوم بها ، بالتأكيد وضعنا منذ تلك اللحظة تحت المراقبة .

_ لا يهم ، لو تحركنا بسرعة فلن يجد الوقت الكافي لفعل شيء ، وأول شيء يجب أن نفعله هو أن نجد مكان لا يعلمه هو غير بيتك هذا، احضري اغراض قليلة وهيا بنا إلى الفندق ، سأحجز لكِ غرفه فيه لأكون مطمئنا عليكِ أكثر .

فكرت سلوى ورأت أن هذا تصرف حكيم ، فوجودها بمفردها في هذه الفيلا أصبح خطرا عليها .

صعدت إلى غرفتها لتحضر بعض الملابس والنقود وأوراقها الشخصية وهاتفها والمفاتيح، ووضعتهم في حقيبة صغيرة وغيرت ملابسها ثم هبطت السلم حيث يجلس صالح ، وأغلقت النوافذ والاضاءة ثم خرجا معا إلى السيارة وانطلقا بها .

قام صالح بالقيادة بطريقة تمويهية تحسبا لوجود مراقبة .

ودخل في شوارع متعرجة حتى وصلا إلى

الفندق ، قال صالح لسلوى : _طبعا من الخطر أن

نحجز الغرفة باسمك الحقيقي وبياناتك الحقيقية ،

يستطيع مجدي الوصول إليكِ بالاستعلام في كافة

الفنادق وسيصل إليكِ بالتأكيد ، ولكن للأسف لن

نستطيع أن نفعل شيئا حيال ذلك ، لأن الفندق لن يقبل حجز غرفة إلا بعد الاطلاع على بطاقة هويتك ، لهذا سنفعل هذا

وسنقوم بحجزها باسمك الحقيقي ، ولكن

سنتحرك بسرعة قبل أن يصل إلينا مجدي .

الاستعلام في كل الفنادق إن فكر فيه سيأخذ منه وقتا ،

نكون قد انتقلنا إلى مكان آخر وهكذا ،

التنقل المستمر لن يمنحه فرصة تعقبنا .

_ يبدو أننا دخلنا فيلم اكشن من أبوابه الخلفية

لا أعتقد أننا سنستطيع الصمود طويلا في تلك المغامرة .

قال لها صالح بحزم : سلوى ، مجدي هذا مجرم ولا بد من كشفه وأن ينال عقابه . بتهديده لنا تأكدنا من أنه قتل زوجته ، لا يوجد تفسير آخر ، ولا يمكن أن نتركه يفرّ بجريمته بعد أن علمنا بهذا . المسألة لم تعد عودة رغد اليكِ أو إلى أمها ، المسألة الآن أصبحت ضرورة الكشف عن حقيقة اطارها الدم .

ولا يمكن أن نتغافل عن هذا .

للمرة الثانية يخرجها صالح من كهف أنانيتها ،

ليجعلها ترى صورة جديدة أعمق وأكبر من التي

كانت تنظر إليها ، نعم تلك المسكينة التي قتلها مجدي لابد أن يعرف أهلها وأن يتم عقاب قاتلها .

وافقته سلوى دون اعتراض و بهزة من رأسها .

الفصل السابع

نتسرع في الحب ..نتسرع في الظلم .. وفي إطلاق الأحكام على الآخرين . لهذا نقطع آلاف الأميال ولا ننتبه أننا قد ابتعدنا كثيرا وخسرنا الكثير إلا بعد أن نكون قد وصلنا إلى نقطة اللاعودة ..

ارتجلا من السيارة واتجها إلى موظفة استقبال الفندق وحجزا الغرفة وصعدا اليها ووضعا حقيبة سلوى بها

، ثم صممت سلوى على الذهاب معه الى أهل نور ،

وصلا إلى العنوان الذي وجداه في محضر الشرطة ، وارتقا الدرج إلى الشقة وطرق صالح الباب فخرج رجل في حوالي السبعين من عمره ، اشيب الشعر اسمر البشرة ، سأله صالح :

هل حضرتك استاذ محمد القناوي ؟

_ نعم أنا

_ هل تسمح لنا بأن نتكلم معك قليلا في موضوع هام ؟

_ من أنتما ؟

_ ستعرف كل شيء ولكن اسمح لنا بالدخول أولا .

تردد الرجل قليلا ثم تنحى جانبا وسمح لهما بالدخول فلا يبدو من هيئتهما ما يريبه .

أشار لهما بالجلوس ، فجلسا بهدوء ثم تحدث صالح

وقال : انا دكتور صالح ، وهذه مدام سلوى ، جئنا لنتحدث معك في موضوع اختفاء ابنتك نور

بمجرد أن نطق صالح اسم نور أمسك الرجل بيد مقعده بقوة وكأن الاسم أصابه بصدمة كهربية .

ولكنه سرعان ما تماسك وقال بحذر : وما علاقتكما بهذا الموضوع ؟

نظر له صالح بدهشة وتلاقت نظراته مع سلوى

وعرف كل منهما انهما يفكران بشيء واحد ، وهو

أن رد فعل الأب غير طبيعي ، وسؤاله ليس في محله ، المنطقي أن يسألهما عن مكانها وليس عن علاقتهما بها!

اعتدلت سلوى في جلستها وقالت بهدوء : استاذ محمد انا زوجة مجدي زوج ابنتك .

نظر إليها الرجل بدهشة شديدة ، وقال : وماذا تريدين ؟

أريد أن اساعدك في كشف سر اختفاء ابنتك

قال الرجل بعصبية : وما شأنك بهذا ؟ هل مجدي يعلم بوجودك هنا ؟

_ لا ، ولكنه بالتأكيد سيعلم لهذا يجب أن تستمع لنا اذا كنت حقا تريد أن تعرف أين ابنتك

نظر اليها الرجل بشك وكانت علامات الاضطراب بادية عليه ، ثم استأذن منهما ليجري مكالمة ، نظرا لبعضهما في قلق ظنا منهما بأنه سيتصل بمجدي .

ولكنهما سمعاه يكلم شخصا اسمه محمود ويطلب منه الحضور فورا ، واغلق الهاتف وعندما سألاه من محمود قال أنه ابنه .

وجه صالح سؤاله سريعا كسبا للوقت : لماذا أوقفتم البحث عن نور ولماذا لم يتوجه شككم إلى زوجها ؟

قال والد نور : لم نصل لشيء ، ولا يوجد سبب لنشك بزوجها ، ثم انني حتى الآن لا اعرف من انتما وماذا تريدان بالضبط

_ أخبرتك بأنني دكتور صالح ، وهذه مدام سلوى الزوجة الثانية لزوج ابنتك .

_ هذا لا يفسر شيئا ، ماذا تريدان ؟

_ أن نساعدك

_ لا أريد مساعدة ، نور اختفت منذ سنوات واحتسبناها عند الله وانتهى الأمر

شعرت سلوى أن موقف الأب مريب بشكل لا يمكن الشك فيه ، يوجد سر غامض هنا وعليها اكتشافه .

اوشكت أن تقول شيئا ، ولكن الأب سبقها وقال : ابني سيأتي الآن ، فلنؤجل الحديث حتى يحضر

لاذت سلوى بالصمت ، واخذت في التفكير ، فهما لم يتوقعا موقف الأب ، وظنا أنه سوف يساعدهما كأي أب يبحث عن ابنته و يتعلق بأي قشة للوصول إليها .

صالح ايضا استراب من موقف الأب وبدأ يحاول ترتيب أفكاره في ضوء هذا الحدث الجديد .

وصل الابن بعد عشر دقائق اخرى ، تبادل هو والأب بعض الكلمات جانبا ، لم تسمعهما سلوى ولكنها بدأت تفهم شيئا ، تأملت الشاب ، فوجدته أسمر البشرة طويل القامة قوي البنية ، جاد الملامح قاسي العينين وأسود الشعر .

انضم كلا من الاب وابنه إلى سلوى وصالح وجلسا أمامهما ، وبدأ الابن في الحديث : قال أبي أنكما

جئتما للتحدث بشأن نور ، ما الذي تريدان التحدث عنه بالضبط؟

قال صالح : عن اختفائها ، نحن نشك أن مجدي هو السبب وراء اختفائها .

نظر الاب وابنه إلى بعضهما نظرة ذات معنى جعلت سلوى تشك أكثر في أنهما يعرفان هذا قبل ان يقوله صالح .

فبادرتهما : أنا أعرف أنه السبب وراء اختفائها ، هو اخبرني بكل شيء ، وأعلم أنكما أيضا تعرفان السبب الذي جعل مجدي يفعل معها ما فعل ، ولكن ما فعله مجدي خطأ وكان يجب ألا تتركانه يفعله ، هي ابنتكما أولا واخيرا ، كان يجب عليكما حمايتها ، سكوتكما جريمة ومشاركة له في جرمه .

سلوى لم تكن متأكدة من نتيجة ما تقوله ، ولكنها

شعرت أنها يجب أن تظهر بمظهر العارف بكل شيء مع القاء كلمات عرضية كمصيدة ، لعل أحدهما تعلق بها السمكة فتصطادها .

وبالفعل حدث ما تمنته وقال الابن : هي تستحق ما حدث لها .

هنا تبلور في ذهن سلوى الموقف كله ، مجدي اقنعهما بخيانة نور ، وهكذا كان قتلها جائزا في عرفهما .

_ ومن قال لكما أنها خائنة ؟ نور ليست خائنة ، مجدي كذب عليكما .

فغر الابن فاهه وجحظ عينيه وهو ينظر لسلوى ، والاب بدوره نظر إليها نظرة هائلة ، حتى صالح نظر إليها وهو يحاول أن يفهم ما ترمي إليه بكلامها .

تأملت سلوى وقع كلامها عليهما و قررت أن تطرق على الحديد وهو ساخن فإما أن تفوز الآن أو لا تفوز ابدا .

_ مجدي ادعى خيانة نور ليتخلص منها ويتزوجني .

هنا وقف الابن بعصبية وقال وهو يصرخ : أنتِ كاذبة .

لا يمكن أن يدعي شيئا كهذا ، رأينا كل شيء ، السي دي يثبت خيانتها وكذلك شهادة مجدي الطبية

نظر صالح وسلوى إلى بعضهما وقد شعرا بأنهما على وشك الحصول على خريطة الكنز .

_ أي شهادة طبية ؟

_ التي تثبت أن مجدي لا ينجب .

أكمل الأب وهو ينظر إلى الأرض : وهذا معناه أن رغد ليست ابنة مجدي .

فكرت سلوى بسرعة وربطت الأحداث في ذهنها ووضعت خطة سريعة لا تعرف ما الذي ستحصل عليه منها ولكن ليس أمامها إلا المجازفة الآن وإلقاء كل أوراق

اللعب على الطاولة وبثقة .

_ هذه الشهادة مزورة ، رغد ابنة مجدي وأنا أعلم هذا يقينا ، وبالتأكيد السي دي ايضا مزيف.

أنا رأيت كيف يعامل مجدي رغد ، معاملته لها معاملة أب لابنته ، تلاعب بكما ليجعلكما تقتلان نور

قال الابن وكل ملامحة تنذر بالانفجار الوشيك : أين رأيتِ مجدي يعامل ابنته ؟

_ في بيتي ، أنا قمت بتربية رغد

_ مستحيل ، رغد ماتت مع أمها

_غير صحيح ، رغد موجودة ، وأصبحت ابنتي رسميا ، قام مجدي بتزوير الأوراق الرسمية لأصبح أمها .

ثم اخرجت من حقيبتها ألبوم صغير به صور رغد منذ كان عمرها عاما ونصف حتى اصبح عمرها تسعة أعوام

وأعطت الالبوم لهما لتثبت أن رغد مازالت على قيد الحياة .

هي الدليل الوحيد على أن مجدي كذب عليهما .

قلب الابن الصور وابيه ينظر معه إليها و ...

لو أحد أراد أن يرى وجه من يتم إلقاءه في الجحيم ، فعليه ان يرى وجه الأب وابنه في تلك اللحظة.

صالح كان يشاهد هذا الفيلم المشوق الذي يدور أمامه وكأنه خارج الكادر ولم يحاول ان يتدخل ، رأى سلوى وهي تتلاعب بهما ببراعة ورباطة جأش ، أعجب بها كثيرا وخشيَ عليها جدا ، فالموقف عصيب وعبثي ، وكأنهم يجلسون جميعا على فوهة بركان أوشك على الإنفجار .

صرخ الأب وهو يخاطب ابنه : مجدي خدعنا !!!

قالت سلوى بسرعة : نعم خدعكم ، لو رغد ليست ابنته ما كان أخذها ورباها كابنته . هو يعلم أنها ابنته وأن نور لم تخنه . فعل كل هذا ليتخلص منها بموافقتكم .

الأرض كانت تهتز تحت أقدام الابن ، وفجأة انفجر في البكاء وهو يخاطب ابيه : صدقناه وتركناه يقتلها ليغسل عارنا وعاره ، خدعنا وتلاعب بنا كأطفال . كيف تركته يفعل هذا بأختي ، لماذا لم أصدق دموعها واستمع لها

عندما توسلت إليَ بألا أسلمها له هي وطفلتها!

أسقط الأبن رأسه بين يديه وعلا نشيجه والأب سقطت دموعه في صمت ووجهه يدل على ألم رهيب .

وفي قلب هذه الدوامة القاسية رن هاتف الأب

لم يعره الأب التفاتا ، كان لا يزال في صدمته وذكرياته وكارثة اكتشافه انه ظلم ابنته وترك زوجها يقتلها وانه بارك فعلته البشعة .

استمر الهاتف في الرنين ، أمسك الأب بالهاتف ونظر اليه فوجده رقم مجدي ، نظر إلى ابنه وأمسك يده ليصمت

ويكف عن النشيج ، تماسك الأب ووضع الهاتف على اذنه وفتحه

واستقبل مكالمة مجدي : الو

_ اهلا عمي كيف حالك ؟

_ بخير

_ أعلم أن لديك ضيفين ، يسألانك عن نور ، احذر من الكلام معهما ولا تخبرهما بأي شيء .

قال الأب بصوت هادئ ولكنه يجيش بالكثير : اطمئن ، لست بهذه السذاجة كما تعلم .

_ نعم أعلم ، اطردهما ولا تتحدث معهما مطلقا هذا افضل شيء

_ حاضر سأفعل

_ شكرا عمي لن أعطلك . سلام

اغلق الأب الهاتف ونظر إلى ابنه ثم إلى الضيفين وقال لهما :

الأمر لم يعد يخصكما ، من فضلكما انصرفا

الآن

_ قالت سلوى : ولكن ...

تكلم الابن هذه المرة وقال : نور اختي وأنا من سيأخذ لها

حقها، ثم أردف بعين محمرة وهو ينظر للا شيء بغضب

: سأجعله يندم على ما فعله بها وبنا ، لن ارحمه .

فهمت سلوى وصالح ما ينوي أن يفعله ، لم يحاولا منعه ،

فمجدي لا يهمهما بشيء ولكن المهمة هي رغد

وسلامتهما . لهذا كان يجب أن يطمئنا على كلا الأمرين قال

صالح : أرجو أن تفكرا جيدا ، مجدي ليس سهلا أو غبيا ،

سيكون حذرا جدا وقد يمد يده إليكما ويؤذيكما

_ اطمئن لن أترك له فرصة ليفكر في أي شيء

قالت سلوى بلهفة : ورغد ؟

_ ماذا تقصدين ؟

_ رغد ابنتكما لا تنسيا هذا ولا تفكرا في إيذائها

_ بالطبع لن نفعل ، ظلمناها هي وأمها مرة ولن نفعل هذا ثانية . ولكن أنتِ تقولين أنها اصبحت ابنتك في الأوراق الرسمية أليس كذلك ؟

_ نعم

_ اتمنى أن تهتمي بها جيدا ، فلن يتبقى لها أحد غيرك .

نظرت سلوى إلى صالح غير مصدقة أن رغد ستعود اليها !

قام الأب وأشار ناحية الباب وقال بصوت متهدج ومخنوق :

يجب أن تنصرفا الآن مكوثكما هنا طويلا سيجعل مجدي يشك في أننا عرفنا الحقيقة ، هو يعلم بوجودكما هنا و يراقبكما أو يراقب البيت أو كلاهما معا .

هز صالح رأسه علامة التفهم والموافقة على ما قاله الأب ، وقام هو وسلوى واتجها إلى الباب ، ثم تذكرت سلوى

الألبوم ، فعادت واخذته من على المنضدة وانضمت إلى صالح وخرجا معا .

هبطا السلم دون كلمة واحدة ، خرجا من بوابة العمارة ونظرا حولهما ، كانت السماء صافية ، والجو معتدل الحرارة ، به نسمة هواء خفيفة ، والشارع خاليا من المارة

في هذا الوقت معظم الناس يأخذون القيلولة ، أو يتناولون وجبة الغداء ، كانا يعلمان انهما مراقبان ولكنهما لم يريا أحدا ، فاتجها إلى سيارتهما مباشرة وقبل أن يصلا

إلى بابها اندفعت نحوهما سيارة سوداء مسرعة بشكل جنوني ، انشقت عنها الأرض بشكل مفاجئ .

لم يسعفهما الوقت للتفكير في أي شيء ، ولكن سلوى التي كانت متقدمة صالح ببضع خطوات قامت بجذبه بقوة وقفزت فوق مقدمة سيارة صالح ، فأصبحت هي فوق مقدمة السيارة واصطدم صالح بجانبها واصبح نصفه

الأعلى فوقها ونصفه السفلي كما هو على الأرض ،

ومرت السيارة بسرعة شديدة بجانبه وشعر بها وهي على بعد سنتيمتر واحد منه .

استمرت السيارة في اندفاعها حتى اختفت عن أنظارهما فتنفسا الصعداء ...

ركبا السيارة وهما لا يصدقان ما حدث ، هل وصل جنون مجدي إلى أن يحاول التخلص منهما بهذه السرعة وفي عرض الطريق!!

ظلا صامتين فترة من الوقت ، ثم تنهد صالح وقال : أعتقد أنني مدين لكِ بحياتي .

قالت سلوى وهي تنظر إليه بطرف عينيها : تعادلنا

ابتسم لها ، ثم أشعل محرك السيارة .

بعد أن سارا فترة بالسيارة قال صالح : أنتِ ذكية وبارعة حقا ، كان العالم سيخسر عبقرية مثلك ، ما فعلتيه في بيت

أهل نور يستحق التصفيق .

قالت سلوى مازحة : لا داعي للتصفيق ، دعنا نموت في صمت

_ ولماذا نموت ؟ لا أظن أنه سيحاول قتلنا مرة أخرى

_ وما أدراك أنه لن يفعل ؟

_ لديه الآن مشكلة أكبر ، والد نور وأخيها ، نحن بالنسبة له الآن أقل خطرا

_ هو لا يعلم بأنهما علما الحقيقة ، لهذا سيستمر في مطاردتنا ، أنا وأنت مصدر الخطر الوحيد الذي يعرفه .

_ نعم أنتِ على حق ، وطالما أنه يراقبنا ، فهو يعلم فندقنا لهذا لا يجب أن نعود إليه

_ وأين سنذهب ؟

_ نذهب إلى مكان عام نتناول الغداء ثم نفكر بهدوء في

خطوتنا التالية .

_ هل ما زالت توجد خطوات أخرى ؟

_ نعم ، مواجهة مجدي ومساومته

نظرت إليه وكأنها تنظر إلى مجنون .

قال بغيظ : بدأت أكره نظرتك هذه ، لست مجنونا ، هدفنا الأول كان رغد ، وهدفنا الثاني هو كشف حقيقة اختفاء

نور أو قتلها ، هدف نور تولاه الآن أبيها وأخيها بعد هذا المشهد الدرامي الذي حدث في بيتهما ، أما رغد فمازالت هي هدفنا .

_ نعم لا بد أن أعيد رغد إلى حضني ، كنت سأعيدها إلى أمها ثم أنهي حياتي في هدوء ، ولكن الآن وبعد تأكدي من وفاة أمها وجريمة مجدي ، فلم يتبقى لها سواي كما قال أخيها .

_ أشعر بأنهما ينويان قتل مجدي

_ وأنا أشعر بهذا أنضاً ، ولكن لا أظن أنهما سينجحان ، مجدي

ذكي وليس الوصول إليه سهلا

_ هل حقا نور لم تقم بخيانته ؟

_لا أعرف

_ ولكنك أكدتِ لهما هذا !

_ كان علي أن أصيغ الأمر بهذه الطريقة لأحصل على ما أريد .

لن يساعدانا أو يلتفتا إلى ما نقول إن ظلا على يقين بأن نور عاهرة ، لاحظت انهما من اصل صعيدي من لهجة الأب ، وهؤلاء الشرف عندهم هو الكون كله بمجراته وكواكبه ، الروح أرخص منه والحياة لا قيمة لها أمامه .

مجدي أكد لهما بشهادة مزورة أنه لا ينجب ، هو كذب في هذه النقطة ليؤكد لهما خيانتها وليأخذ رغد بعيدا عنهما ولا يبحثان عنها أو يفكران في رؤيتها ، لهذا أقنعهما انها بنت الخطيئة .

ويجب قتلها مع أمها ، وجود رغد على قيد الحياة واهتمام مجدي بها ، هو أقوى دليل بالنسبة لهما على براءة نور ، ومن يكذب مرة ، يكذب آلاف المرات .

أما بالنسبة للسي دي ، فلا أعرف عنه شيء ولا أعرف

حقيقته ، ولا أعرف إن كانت نور خائنة بالفعل أم لا ، ربما خانته فعلا ، ولكن خانته بعد إنجابها لرغد وهو يعلم هذا ، ولهذا لم يشك في نسب رغد اليه ، وربما قام بتحليل DNA وتأكد من أنها ابنته بالفعل ، وربما نور لم تخنه

ابدا وهناك سبب آخر وغامض لقتله لها .

_ ولكنك قلتِ لهما أنه فعل كل هذا ليتخلص منها ويتزوجك !!

_نعم ، قلت هذا لأعطي لهما سببا مقنعا لقتله لها .

_ ولكن هذا تهور شديد منكِ ، ماذا لو صبا غضبهما عليكِ بوصفك السبب الذي من أجله قتل مجدي نور وأتهمها في شرفها ؟

_ أعلم أنه تهور ، ولكن كان يجب أن اجازف ، لم يكن في قبعتي أرنبا غيره .

ابتسم صالح وغمز بعينيه وقال : أنتِ بالفعل ساحرة

نظرت سلوى إلى الجهة الاخرى واحمرت وجنتاها وعاد إليها اضطرابها وأفكارها بخصوص صالح .

وهما يتناولان الغداء في أحد المطاعم التي تطل على النيل ، لم يكن حولهما اعدادا كثيرة من الناس ، ولكن سحر المكان وروعة النيل وهذا السمك الشهي الذي يتناولانه ووجودهما معا في وسط هذا كله جعلهما يتناسيا محاولة

قتلهما وكل الاحداث الغريبة التي مرت بهما ، بضع دقائق من الهدوء والراحة لن تضر ...

بعد انتهائهما من الغداء طلبا القهوة

وهما يشربانها سألت سلوى صالح : هل تدخن ؟

_ لا ، هل تريدين سيجارة ؟

_ لا ، أنا لا ادخن

_ لماذا سألتني إذا ؟

_ لا أعرف ، ربما فضول ولأن معظم الرجال

يدخنون ولكن لم ارك تدخن ولا مرة

_ أنا طبيب واعلم أن التدخين ضار بالصحة

_ وهل يوجد شيء غير ضار ؟

_ نعم

_ ما هو ؟

_ الحب

_ الحب ! هو أخطر شيء على الصحة وعلى الحياة

_ لا اظنك تؤمني بهذا حقا

نظرت له بتحدي :

_ بل أؤمن به بشدة

نظر لها بنفس التحدي وقال : كاذبة

أوشكت أن ترد عليه بقصيدة هجاء ولكن .. التقت

نظراتهما ، فغامت الرؤية وذابت القصيدة وتساقط المطر و غنت فيروز ورقص القلب كما لم يرقص من قبل .

....

مرت دقائق خارج الزمن ، نشأ كون جديد بأرض أكثر اتساعا وسماء أكثر زرقة وبشر اكثر قربا وحبا ، كون صافي نقي رائع ، لا يُسمع فيه سوى صوت دقات القلوب وتهدج الأنفاس و تعانق الروح .

هذا هو الكون الذي عاشا فيه للحظات .

ولكن كما أن لكل شيء نهاية ، كان لابد من كونهم الجديد أن يتهاوى .

الفصل الثامن

بعض الخيارات في الحياة صعبة وشاقة على النفس ، ولكن لا بديل عنها ، فهي ما تجعلنا نسير باتزان ولا نفقد الطريق أو نخسر أنفسنا .

تذكرت سلوى أن صالح ليس حرا ، بل مقيدا بزوجة واطفال ، عليها ان تعترف بهذا ولا تحاول تجاهله وإلا سيكون سقوطا مدويا .

توقفت قوة الجاذبية بينهما عندما لاح خيال زوجته من بعيد ، أطرقت سلوى وخفضت نظراتها الى يد صالح حيث تقبع دبلة زواجه كاللغم المعد للانفجار في أي وقت .

فهم صالح من نظراتها إلى دبلته ما يدور في عقلها ، قال بصوت خافت : أعلم ما تفكرين به ، أنا أيضا في حيرة ، ولا أتوقف عن التفكير ، مشاعري تجاهك تنمو وتزداد

وتتعمق ، لا استطيع أن اوقف امتدادها داخلي أو تشعبها ، ما كان يجب أن أشعر تجاهك هكذا ، ولكنه ما حدث .

مكالمة طائشة ادت إلى اصابتي برصاصة قاتلة استقرت في قلبي

قالت وهي لا تزال تنظر لأصابع يديه : هل تشبه مشاعرك تجاهي برصاصة قاتلة ؟ يبدو انك صدقت انك المفتش كونان أو جيمس بوند ، مرادفاتك أصبحت إجرامية .

نظر إليها بدهشة ، ثم انفجر ضاحكا

تبا ، إنها تمتلك روح دعابة لا تتوقف حتى في أكثر اللحظات دفئا وحيرة .

رفعت عينيها إليه وهو يضحك ، تحب أن تراه يضحك ، كما يحب هو إسعادها .

ما أجمل هذا!

قاطعت ضحكته وهي تقول في هدوء : هل اتصلت

بزوجتك ؟

_ لا ، هاتفها مغلق ، ولكنني اتصلت بوالدها ، طلب مني أن

انتظر يومين واتركها لتهدأ وتفكر ثم احاول معها مرة اخرى

.

_ هذا جيد ، افعل كما طلب منك

_ سلوى ..

نهضت بسرعة وهي تقول هيا بنا

_ إلى أين ؟

_ إلى بيت مجدي

_ لماذا ؟

_ أريد أن اتأكد من وجود رغد فيه ، أخشى أن تكون في

مكان آخر نجهله

_ اعرف ما تفكرين به ، تخشين إن حدث مكروه لمجدي تفقدي أثر رغد

_ نعم ، كان واضحا أن والد نور واخيها قد عزما على الثأر لابنتهما

_ أليس غريبا أن نعرف أن هناك رجلا معرضا للقتل ولا نحاول تنبيهه أو إنقاذه !

_ نعم هذا غريب جدا ، اذا كان الضحية رجلا ، اما إن كان وحش ، فالوحوش لابد من قتلها لتصبح الحياة أكثر أمنا .

اتجها إلى بيت مجدي ، وجلسا يراقبانه من بعيد ، ثم قال صالح : كيف سنتأكد ؟

_ حاول أن تشغل الحارس بأي شكل ، و سأصعد أنا إلى شقته و أجد طريقة ما

_ ولماذا لا نسأل الحارس مباشرة ؟

_ وهل تعتقد أنه سيجيبك ؟

_ اخبرني من قبل عن مكان مجدي عندما ذهبت اليه في فندق الماريوت

_ حسنا ربما يفلح هذا ، ولكن علينا أن نفكر في طريقة مقنعة للسؤال ، أن تسأل عن مجدي هذا شيئا عاديا فهو رجل اعمال ويقابل الكثيرين كل يوم ، أما أن تسأل عن ابنته الصغيرة فهذا مريب ، فلا تبدو كصديق لها ولا حتى كمربية .

نظر لها بغيظ : ربما أشبه قطتها الضائعة

ضحكت سلوى

ثم أردفت ساخرة : نعم يبدو هذا مقنعا وسيتقبله الحارس

_ حسنا سنرى

فتح صالح باب السيارة وخرج منها وقبل أن تحاول سلوى منعه اتجه رأسا نحو الحارس .

جلست سلوى تراقبه بقلق وهي تقول في نفسها " يا لك من مجنون متهور "

بعد قليل عاد صالح وفتح باب السيارة وولج إليها

سألته سلوى بلهفة : ها ، ما الذي وصلت إليه وماذا قلت للحارس ؟

لم يرد عليها صالح ، وظل ينظر أمامه في هدوء وهو مستمتعا بلهفتها .

_ صالح انطق لا تتركني هكذا .

نظر إلى عينيها مباشرة وهو يقول : لن اتركك ابدا

خفضت عينيها من شدة الخجل ولم تدر ماذا تقول ، لماذا يحاصرها هكذا دائما ؟ إن ما يحدث بينهما لهو الجنون ذاته .

لم يرغب صالح في أن يزيد من اضطرابها ، قال بهدوء :

سألت الحارس عن مجدي وابنته فأخبرني أنه يعيش هنا وحده مع خادم وخادمة .

نظرت اليه سلوى بقلق : وأين رغد ؟

_ قال لي انه ألحقها بمدرسة داخلية وتأتي هنا في الإجازات فقط .

أسندت رأسها للوراء وهي تتنهد بحزن .

_ مسكينة رغد ..

_ وجودها في المدرسة الداخلية جيد لها ، على الاقل نحن مطمئنون الآن أنها بخير وفي مكان آمن .

قالت والدموع تملأ عينيها : ولكنها وحيدة ، كيف تحيا طفلة بدون أمها وأبيها؟

_ هل كان مجدي يعاملها معاملة حسنة ؟

_ نعم ، لم يكن حنونا جدا أو متفرغا لها ، ولكن كان يعاملها بشكل جيد وأعلم أنه يحبها بطريقته .

_ إذا في النهاية مجدي ليس شريرا بشكل مطلق.

_ قلت لك من قبل نحن مزيجٌ عجيبٌ من كل شيء . كل شيء ونقيضه سنجده داخلنا ، ولكن البعض يجاهد لزيادة الخير داخله ، والبعض يحارب الخير داخله .

فكر صالح في كلامها ووجده صحيح جدا

تذكرت سلوى شيئا فالتفتت إليه وهي تسأله باهتمام :

_ كيف

باح لك الحارس بخبر رغد بهذه البساطة؟

أخرج صالح حافظته من جيبه وحركها في الهواء أمام عينيها

وهو يقول :

_ بهذه الساحرة

وابتسما معا .

مد صالح يديه ومسح بقايا الدموع التي كانت متجمعة على

جانبي عين سلوى وتسيل بحياء على وجنتها .

شعرت سلوى بيديه دافئة جدا ، وكأنها الشمس تشرق بعد

غياب على أرض أهلكها الصقيع .

قال صالح بحنان :

_علينا أن نبتعد عن هنا ، وأن نجد مكانا لنبيت فيه .

شغل محرك السيارة وانطلقا من جديد .

وفي الطريق سألت سلوى :

_هل عرفت اسم المدرسة ؟

_ نعم اسم المدرسة مكتوب على الباص الذي يأتي بها في أيام الإجازات . اسمها مدرسة الفيروز

سنبحث عن عنوانها في النت ، ما رأيك في أن نخطفها ؟

نظرت له سلوى بدهشة :

_نخطف من ؟

_ رغد

_ ألا تتوقف عن جنونك ؟

_ لا لن اتوقف عن جنوني ، حتى تتوقفي عن اتهامي بالجنون

_ حسنا ، لن اتوقف

ابتسم صالح :

_ وأنا أيضا لن أتوقف

_ تبا لجنونك

_ تبا لجمالك

لم ترد عليه ونظرت إلى الجهة الأخرى وهي تبتسم

بسعادة .

أخرج هاتفه وأعطاه لها وهو يقول :

_ابحثي في الإنترنت عن

عنوان سمسار أو شقة مفروشة في منطقة قريبة من هنا .

بحثت سلوى كما طلب منها صالح ، ثم تذكرت شيئا .

تذكرت شقتها الصغيرة التي اشترتها في العام الماضي ، ولا

يعرف زوجها شيئا عنها . فلقد شعرت بأن حياتها معه لن

تستمر طويلا وأنه قد يقوم بلعبة ما فيطردها من الفيلا ، لهذا

سعت لشراء هذه الشقة الصغيرة تحسبا للظروف

ودون ان يعلم زوجها ، نعم كان مجدي به عيوب كثيرة ،

ولكنه بكل تأكيد كان كريما في ما يخص المال . المال

فقط .

لهذا استطاعت شراء هذه الشقة ، اخبرت صالح بهذا كله فقال لها :

_عظيم فلنتجه إليها

_ هناك مشكلة صغيرة

_ ماهي ؟

الشقة بعيدة عن هنا ، ثم أنه ليس بها أثاث كثير ، مجرد مقاعد متهالكة وسرير واحد قديم .أصحاب الشقة القدامى تركوهم فيها ، ولم اشأ أن أتخلص منهم حتى أبدأ في تجهيز الشقة وفرشها من جديد .

_ ليست مشكلة على الإطلاق ، نستطيع أن نتكيف مع كل الظروف .

_ يعجبني تفاؤلك

_ سعيد بأنني اعجبك

وغمز بعينيه و ابتسم بخبث .

وهي اخفت ابتسامتها ونظرت للجهة الثانية مرة اخرى .

وصلا إلى الشقة ، كانت صغيرة بالفعل لا تتعدى مساحتها الثمانون مترا ، ولكنها تقع في منطقة نظيفة وشبه راقية ، خالية من الأثاث إلا من ثلاثة مقاعد بائسة ، وعندما دخل إلى حجرة النوم وجد السرير الوحيد .

خرج إلى الشرفة فرأى الشمس وهي توشك على المغيب ، نظر للأسفل كانت الشقة تطل على شارع رئيسي ،

السيارات لا تتوقف فيه عن السير ، هذا معناه أن الضجيج لا يتوقف .

التفت إليها وهو يشير إلى السيارات وهو يقول : هذه هي المشكلة الحقيقية التي كان يجب أن تخبريننى بها ، كيف أنام في هذا المولد؟

عقدت حاجبيها بغضب مصطنع وقالت : ومن الذي

يشغل نفسه بكيفية نومك ؟ انزع جوربيك واستخدمهما سدادات للأذن .

ضحك وهو يقول : أظن أن طبيبك قد فعل هذا أيضا في زيارتك الأخيرة

ضحكت معه ثم اتجهت إلى الفراش وجلست عليه .

_ ها اخبرني ماذا سنفعل غدا ؟

سأذهب لمقابلة مجدي في شركته ، كل الخيوط في أيدينا الآن ، سأهدده بفضحه في وسائل الإعلام المختلفة ،

ربما لا نملك أدلة على أي شيء ، ولكننا نملك مسدسا للصوت ، يستطيع أن يحدث الكثير من الجلبة ، وهذا ما يخشاه مجدي كما اخبرتني من قبل ، بالإضافة الى أن محاولته قتلنا ، معناه اننا اصبحنا مصدر ازعاج وخوف حقيقي له .

_ أنت واهم ، لن يستسلم بسهولة

_ نحن لا نطلب الكثير ، فقط أن يعيد إليكِ رغد أو

حتى يسمح لكِ برؤيتها كل اسبوع ، اعتقد ان هذا افضل لها

هي كطفلة واستطيع اقناعه بذلك .

_ صدقني لن يستسلم بهذه السهولة وقد يخدعنا ويوهمنا

بموافقته حتى يجد فرصة مناسبة للتخلص منّا

_ علينا إذا ألا نعطيه تلك الفرصة . الصحف الصفراء

ومواقع الفضائح كثيرة . اعتقد مجرد ذكرها سيخيفه مع

ذكر والد نور وأخيها وتهديده بإخبارهما ، لن يصمد كثيرا

_ لا أعرف ولكن أشعر بأن موقفنا ضعيف جدا ، مجدي

لازال هو الأقوى والمتحكم في تلك اللعبة .

_ أوقفي آلة بث الشحنات السالبة الموجودة بداخلك يا سلوى ،

كوني ايجابية ، حتى الآن كل ما نفعله يسير بنا إلى الأمام

ونحقق فيه نجاحا . حتى انظري

وأشار إلى السرير القديم :

حصلنا على سرير أثري من عهد الملك هلكانوف الأول .

ثم أشار بيده بحركة مسرحية وهو يقول : أي روعة تلك التي تحيط بنا وننعم بها يا مليكتنا العظيمة .

وقفت وعقدت يديها على صدرها وهي تقول بغضب

طفولي : لو سخرت مرة أخرى من أثاثي العتيق سأطردك خارج مملكتي يا أستاذ شكسبير .

ضحك فنظرت له بغضب ثانية ، فوضع إصبعه على فمه كالأطفال . فلم تتمالك نفسها من الضحك .

ثم تركت الغرفة واتجهت للخارج

هتف بها : إلى أين ؟

_ إلى الحمام لأرى هل بالشقة ماء أم لا

وضع يده على رأسه وهو يقول بحسرة : وهكذا تكتمل المأساة .

الحمد لله وجدا الماء ، فأخبر صالح سلوى بأنه سيخرج ليشتري بعض الطعام والأشياء التي يحتاجانها ، مثل الصابون وفرش الأسنان و ملاءات جديدة لينام عليها .

حاولت سلوى أن تعطيه بعض المال فرفض بشدة ، فاستسلمت لإصراره .

ذهب وعاد بكل ما اتفقا عليه ، تناولا العشاء ثم بدئا في تجهيز طريقة نومهما ، بوجود فراش وحيد أصبح الأمر يستلزم تضحية من أحدهما ، وبما أن صالح هو الرجل ، فقرر أن يضحي وهو يقول ساخرا : هذا من تبعات كون المرء رجلا ، في تلك المواقف الحرجة يختفي دعاة المساواة ، ويعود كل شيء لقواعده . وعلى الرجل أن يرقد هو على الأرض وجلالة الملكة ترقد على العرش .

_ توقف عن التمتمة ، أنت اخترت الارض ، لم اجبرك عليها

_ اجبرتني رجولتي

_ إذا فلتتشاجر معها في صمت أريد أن أنام في هدوء

انحنى بطريقة مسرحية وهو يقول : تفضلي سيدتي ، فلتنعمي بنوم هانئ ومرفقا بحلم جميل هدية من متجرنا السحري .

لم يناما بسهولة ، الأفكار لم تهدأ في رأسيهما . ولكن بعد فترة طويلة من المعاناة استسلما للنوم ارهاقا .

في الصباح وبعد أن تناولا إفطارهما ، قال صالح أنه سيذهب لمجدي ، أرادت سلوى أن تذهب معه ، ولكنه رفض بشدة ، كان يخشى عليها كثيرا لأنه لا يعرف

بالضبط ماذا سيكون رد فعل مجدي ، سيلقي إليه بالصنارة وهو يبتهل إلى الله أن يبتلع الطُعم .

عندما وصل صالح إلى مقر شركة مجدي، وحاول الدخول استوقفه حارس الأمن ، اخبره صالح برغبته بمقابلة الاستاذ مجدي صاحب الشركة ، فأخبره بأن مجدي وجد قتيلا في شقته ليلا ، الخبر اذهله . فاتجه إلى سيارته وقادها واوقفها في طريق خالي وفتح هاتفه ودخل إلى الإنترنت بحثا عن أي معلومات حول الحادث، فقرأ أن مجدي تم قتله باستخدام سكين ، وأن القاتل استقبله الضحية في بيته وتشاجرا فطعنه في صدره وحاول الهرب ، شاهدت الخادمة الجريمة فصرخت واستطاع حارس العقار وبعض الجيران من الإمساك بالقاتل قبل أن يخرج من بوابة العمارة . لم يتم ذكر اسم القاتل في التحقيق

كان لايزال في أوله ، لكن بالتأكيد صالح عرف من هو .

طار بسيارته إلى شقة سلوى ليخبرها بهذا الحدث الخطير .

فتحت له باب الشقة ولاحظ أنها كانت تقوم بتنظيفها ،

قال بصوت سعيد : لا ترهقي نفسك فترة مكوثنا هنا انتهت

نظرت له وهي تقول بفضول : هل تحدثت مع مجدي ؟

_ لا ، لم أقابله

_ اذا لماذا تقول اننا سنرحل عن هنا ؟ مازال الخطر قائم

_ الخطر زال ومجدي رحل

فتحت عينيها على اتساعهما ونظرت له ببلاهة ولم تنطق

_ نعم عزيزتي مجدي تم قتله بالأمس و تم القبض على القاتل

لم يذكروا اسمه في الخبر ولكن بالتأكيد أنا وأنتِ نعلم

من هو .

ثم أردف وكأنه يتحدث مع نفسه : لأول مرة اشعر

بالسعادة لموت إنسان . هذا مخيف

انتبهت سلوى من صدمتها ، واستيقظت على كلماته :

فتمتمت : وفاة وحش لن يضر يا صالح ، لن يضر ابدا .

لم تعرف حقيقة مشاعرها في تلك اللحظة ، مزيج عجيب بين الراحة والحزن والخوف والسعادة .

كل مشكلاتها تم حلها بموت مجدي ، ولكن تشعر أنها كانت شريكة في قتله ، كانت تعلم بالخطر المحدق به ولم تحذره ، بل هي من نسجت تلك المصيدة واستعانت بهذا الصياد لقنصه ، بعد أن كانت هي ضحية مجدي ، أصبح هو فريستها الذبيحة .

_ هل تعلمين يا سلوى أنني حتى لا أشعر بالشفقة على والد نور أو أخيها سواء كان هذا هو القاتل أو ذاك ، كلهم مجرمون ، اشتركوا في قتل نور ، سواء بالفعل أو بالصمت والموافقة ، أتذكر الآن الدعاء الذي كان يردده دائما إمام المسجد يوم الجمعة " اللهم أهلك الظالمين

بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين "

هذا هو ما حدث معنا بالضبط .

ثم امسك بيديها واحتواهما بين يديه وهو يقول بحنان :

حمدا لله على سلامتك حبيبتي .

لأول مرة يقول لها تلك الكلمة " حبيبتي"

ما أحلى وقعها وموسيقاها ، تمنت أن يقولها ثانية

تحتاج أن تسمعها كثيرا ، نعم الآن ولأول مرة تعترف

لنفسها بأنها تحبه ، وها هو يناديها بحبيبتي .

كيف يمنحنا شخصا واحدا كل تلك السعادة ، بنظرة ،

بكلمة ، بلمسة ، بعناق دافئ !!

ما أعجب تلك المشاعر وما أعجب هذا القلب حين يحب ..

استيقظت من أفكارها على صوت صالح وهو لازال

يحتضن يديها ويقول بصوت هامس : سلوى أنا أحبك ، لا

أستطيع أن أنكر هذا ، ولا تنكريه أنتِ أيضا .

أجابته بنفس الهمس : وزوجتك وابنائك ؟ لم تعرفني إلا من ايام فقط ، تقابلنا في ظروف صعبة ، ولم نكن في كامل قوانا العقلية ، كنا ننزف ، والألم لا يجعلنا نفكر جيدا ، ربما ما نشعر به هو إحساس الغريق عندما يلمح طوق نجاة ، يسعى إليه بكل جهده ، كل أمله في الحياة يحصره في هذا الطوق ، وعندما يصل إليه يتمسك به بكل قوته ، ويكون هو اغلى ما يملك في تلك اللحظة ، ولكن بعد إنقاذه وخروجه من الماء يلقى بالطوق جانبا ، فمهمته قد انتهت ، وتعود الاشياء السابقة إلى اهميتها الأولى ، ولا يصبح للطوق اي اهمية .

استمع لها بهدوء ، ثم ضم يدها إلى صدره. وهو يقول :

لسنا طوق نجاة لبعضنا ، بل حياة .

أحبك كحبي للحياة ورغبتي فيها ، لم اشعر بهذا الشعور من قبل ، تغيرت على يديكِ ، أصبحت إنسانا جديدا ، يهتم

بأشياء أخرى غير عمله ، يشعر بجمال الحياة وروعتها ، برغم الوقت العصيب والإحساس بالخطر كنا نضحك ونمزح ، لأول مرة أشعر بأنني فعلا سعيد .

كانت كلماته كالسحر ، كتعويذة يلقيها ساحر فتخضع له الأشياء من حوله و تأتمر بأمره .

كل ما قاله تسرب إلى أعماق أعماقها ، إلى تلك المنطقة المظلمة

التي هجرها الجميع وتركوها لتذبل ، فأنارها وأدفأها واسعدها كما لم يسعدها أحد من قبل .

ولكن لاح خيال زوجته كالمرة السابقة ، ليفسد عليها فرحتها ، وكأنها تطل عليها من داخل ضميرها ، لا لن تسمح بأن تظلم أطفاله فليس لهم ذنب ، لن تهدم بيتهم وتفرق بين والديهم .

تزوجت مجدي وهو متزوج ، ولن تكرر

هذه الفعلة مرة اخرى ، لا تريد جرائم أخرى ، يكفيها ما حدث ، تحتاج الآن فقط إلى رغد ، يجب أن تستعيد رغد ، لا تريد أحدا سواها .

سحبت يدها من بين يديه وقالت : سأستعد للعودة إلى الفيلا ، علينا أولا أن نذهب إلى الفندق لأخذ حقيبتي . ثم أعيد رغد إلى البيت ، سأرى ما هي الاجراءات المناسبة لعودتها إلى مدرستها القديمة ، يجب أن تظل معي ، لن أسمح لأحد بأخذها مرة اخرى.

تركته واتجهت لتستعد للخروج ،

شعر بحزن شديد ، ولكن من داخله يتفهم موقفها ويعلم لماذا تبتعد عنه .

تحرك بآلية وقال بصوت عالي لتسمعه :

_ سأنتظرك في السيارة .

أغلق الباب خلفه ، فانهمرت دموعها التي كبتتها كثيرا ، وبكت وبكت ، حتى شعرت ببعض الراحة ، غسلت وجهها ولملمت أشيائها وخرجت لتلحق به .

اتجها إلى الفندق لاستعادة حقيبة سلوى وفوجئت بأنه يأخذ حقيبته أيضا ويخبرها بأنه سيعود إلى الاسكندرية فوجوده لم يعد له داعي الآن بعد أن تناقشا ووصلا إلى نتيجة مفادها أنها ستحتاج إلى عدة أيام لتستطيع احضار رغد من المدرسة ، فحادثة قتل أبيها ستكون محط أنظار الصحف ولن يهدأ الإعلام وتحقيقات الشرطة ستستمر فترة من الوقت ومن الافضل ألا تكون رغد موجودة أثناء هذا كله .

عادا إلى الفيلا ، ودعها صالح على بابها ورفض الدخول ، أخبرها بأن كل دقيقة يقضيها معها ستكون ذكرى تضاف إلى قائمة الحنين إليها التي امتلأت عن آخرها .

عاد إلى الاسكندرية ولكنه ترك قلبه في القاهرة .

حاول أن يعيد زوجته إليه كثيرا ، تحايل عليها ، ولكنها كانت عنيدة جدا ، كان يعلم أنها لا تتراجع في قراراتها ولم يستطيع اقناعها ، حتى أبيها عجز عن هذا . فوصلا إلى اتفاق ودي بالطلاق وتشاطرا حضانة الأطفال ، فليكن انفصالهما راقيا من أجل أطفالهما .

****

تكشفت كثير من الحقائق في أيام محاكمة شقيق نور الذي قتل مجدي بعدة طعنات في الصدر والبطن . وحياة مجدي الخاصة التي عمل جاهدا على إخفائها عن الإعلام وأنظار الفضوليين أصبحت حديث الناس ومقصد المتطفلين لفترة طويلة ، وتم

الكشف عن السبب الحقيقي الذي من أجله قتل زوجته ،

فبتحريات الشرطة وبتفتيش شقة مجدي بعد الحادثة وجدت

الشرطة خطابا قديما موقع باسم نور زوجة مجدي السابقة

والذي تم التأكد من خلال التحريات أنها كتبته في اليوم الذي

تركت فيه منزل الزوجية ، كان الخطاب موجها لزوجها كتبت

فيه أنها ستذهب إلى بيت أهلها ولن تعود إليه ثانية ، وطلبت

منه أن يطلقها وإلا ستذهب إلى جميع وسائل الإعلام وتشهر به

وتحكي عن علاقاته النسائية المشبوهة وصفقاته المريبة التي

اطلعت على بعضها من خلال أوراقه التي يخفيها في مكتبه ،

وكتبت عدة عبارات جارحة في حقه . وقد تبين أنه بعد تركها

للبيت أقامت تلك الفترة في بيت والدها ، ولكن مجدي أخبر

والدها بخيانة نور له وأراه تصوير لواقعة الخيانة والذي ثبت

تزييفه ، وقد اتفق مجدي ووالدها وأخيها على قتل نور ،

فاستدرجها أخيها بحجة زيارة عمها المريض ، ثم بعد انتهاء

الزيارة وخروجها من المستشفى كان أخيها في انتظارها والذي أخذها بسيارته حتى أوصلها إلى فيلا صغيرة يملكها زوجها مجدي وتقع في منطقة معزولة وأدخلها عنوة إلى الفيلا حيث كان مجدي في انتظارها ، وتركها الأخ معه وانصرف ولم يبال بتوسلات أخته بألا يتركها ، وكان هذا آخر عهد نور بالحياة، حيث لم يعثر لها على أثر ورجحت الشرطة بعد كل تلك الحقائق أن مجدي قام بالفعل بقتلها ، ولكن لم يتم الكشف عن مكان الجثة ولا طريقة القتل . وأدلى شقيق نور بأقواله التي روى فيها كل ما يعرفه عن تلك الجريمة وأنه أخذ شقيقته لزيارة عمها ليبعد الشبهة عنه وعن أسرتها وليؤكد أنه تركها مع عمها وانصرف ولا يعلم عنها شيئا بعد ذلك ولكن في الحقيقة جلس في سيارته منتظرا خروجها من المستشفى وركبت معه بالفعل هي و ابنتها وذهب بها مباشرة إلى حيث كان مجدي ينتظرهم . ظناً منه أنه بهذا يغسل عاره ولكنه

اكتشف بعد عدة سنوات خداع مجدي له وبراءة أخته من خلال اكتشافه أن رغد ابنة شقيقته مازالت على قيد الحياة ولم يقتلها مجدي مع أمها كما أخبرهما ، وهذا ما جعله يذهب إليه في شقته ويقوم بمواجهته بما اكتشفه ، فحدثت بينهما مشاجرة انتهت بسقوط مجدي قتيلا .

الفصل التاسع

النهايات السعيدة هي جوائز رائعة يفوز بها من انتبه لأخطاء البدايات وسعى إلى تصحيحها بقوة .

******

وفي يوم مشمس جميل ، هرعت رغد إلى أمها داخل الفيلا وهي تنادي عليها وتخبرها بأنه يوجد رجل في الحديقة يعرف اسمها وسلم عليها وأخبرها أنه قريبا لهما ، نظرت سلوى بقلق إلى ابنتها ثم طلبت منها البقاء داخل البيت وخرجت لترى من هذا الرجل الذي ينتظر في الحديقة .

وعندما لمحته لم تصدق عينيها ، كان هو ..

اقترب منها وفي عينيه لهفة وفي صوته شوق :

_عاد الطفل الكبير إليكِ يا أمي .

هربت الكلمات منها تمتمت بنبرة من لا يصدق أن هذه

هي الشمس وتلك هي الأرض :

_ صالح !!

_ نعم صالح ، فهل حبيبته سلوى موجودة ؟

_ هل زوجتك .. ؟

_ رفضت أن تعود لي ، تقول أنها لم تعد تحبني وأنني لن اتغير أبدا ، ولكنها لا تعلم أنني تغيرت فعلا ، أخبرتها ولكنها لم تصدقني، تم طلاقنا في هدوء ، لم آتي إليكِ إلا بعد أن أنهينا كل شيء ، لأصبح لكِ ، فهل تقبلين أن تكوني لي ؟

هل تقبلين الزواج مني ؟

كانت تريد أن ترقص ، أن تطير ، أن تداعب الأشجار وتزقزق كالعصافير ، ولكنها اختصرت هذا كله في كلمة واحدة بثت فيها كل شيء :

_ أُحبك ...

تمت

****